كتاب دول الإسلام للذهبي ت٧٤٨ هـ مصدرا عن الجوانب المالية في الدولة العربية الإسلامية (١-٧٤٦ هـ)

المدرس المساعد
سحر مهدي احمد
جامعة البصرة – كلية التربية للبنات

الخلاصة:

يتناول البحث كتاب دول الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) مصدرا عن الجوانب المالية في الدولة العربية الإسلامية (١ – ٧٤٦ هـ) وقد تضمن مواضيع عدة وضعتها حسب الأهمية في تسلسل زمني كما أوردها الذهبي فقد تناول الموضوع الأول الغنائم وأثرها على اقتصاد الدولة العربية الإسلامية ثم الموضوع الأخر المصادرات وأسبابها وأنواعها والموضوع الأخر التركات والدخل السنوي لكبار رجالات الدولة والتفرقة بين النوعين وعلاقتها بالمستوى ألمعاشي للدولة .

ثم الموضوع الأخر الصدقات والعطايا والصلات وتعريف كل مصطلح على حدا وكيف كانت تنفق وعلى من ثم الموضوع الأخر الحالة المعاشية وقسم إلى نوعين الرفاهية وارتفاع المستوى ألمعاشي والغلاء وتدني المستوى ألمعاشي ثم الموضوع الأخر الإنفاق على الجيش حسب الحقبة التاريخية ثم الموضوع الأخر الصلح والضرائب وقد عرفت المصطلحين كلا على حدا وأسبابه والموضوع الأخير والذي وضعته في حقل مستقل هو أمور متفرقة إذ وجدت هذه الأمور كانت منفردة في كتاب الذهبي فأثرت أن أضعها في موضوع مستقل ليتسنى للقارئ معرفتها وحدها .

Abstract

This study deals with Al_ Thahabi's book entitled State of Islam (746 A.D.), a source for the financial aspects in the Islamic Arabic State (1 _ 746 A.D.).The study includes several topics that have been stated chronologically according to their significance by Al_ Thahabi . However ,the first topic studies the booty and its effect on the economics of the Islamic Arab State. The second topic deals with the confiscations and their reasons and kind. The third topic treats the estates and the annual income of the State high standing men and the differentiation between the two kinds as well as its relation with the living standard of the State. The fourth topic tackles the charities, donations, and presents with defining each one of them separately and how and what they were to agree upon. The fifth topic deals with the living standard which is divided into these types: the welfare, the high living standard, high prices, and low standard living . The sixth topic studies the army according to the historical epoch. The last topic, which is set in a separate column, deals with miscellaneous items found in different places in Al_ Thahabi's book which may have an effect, if being put in a separate topic, so as to let the reader know them well .

المقدمة:

حظي النشاط المالي في الدولة العربية الإسلامية منذ قيامها وتأسيسها على يد الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) مرورا بالمراحل التاريخية المختلفة لأرجاء العالم الإسلامي بعناية من قبل المسؤولين في الدولة العربية الإسلامية فكانت هذه العناية متنوعة شملت الاهتمام بالجوانب الاقتصادية المختلفة وخصوصا أوقات المحن والكوارث والحروب وما شملته من انخفاض ملحوظ في المستوى الاقتصادي فكان لا بد من الدولة ومؤسساتها المختلفة تقديم العون والمساعدة لتلافي حدوث المجاعات والأوبئة في هذه الظروف الاستثنائية ولهذا السبب نرى اهتمام

الأفراد والمجتمعات لهذه الأمور الحيوية والضرورية قد ترجمت إلى انجازات علمية هائلة مثل الكتب والمجلدات المتنوعة والزاخرة بالجوانب الاقتصادية المختلفة والسياسات المتبعة في هذا المجال ومن أمثلة ذلك كتاب (دول الإسلام) للذهبي الذي تناول الجانب الاقتصادي على الرغم من تناوله الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني ولكنه لم يغفل أن يذكر كل ما صادف الدولة الإسلامية في حقبها المختلفة من أمور اقتصادية شملت مختلف النواحي فكان كتابه جرد لحوادث اقتصادية سواء أكانت لأفراد أو دول بشكلها العام في إطار تاريخي منذ زمن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى مدة متأخرة من حياة الدولة الإسلامية ودراسته شملت جرد لهذه الأحداث دون إبداء أي رأي من قبله ولكن يترك التقييم وإبداء الآراء وحل المشاكل للقارئ ولهذا نرى أن دراسة كتابه تفسح المجال للباحث لإبداء رأيه الشخصي بشكل موضوعي دون الحاجة إلى رأي المؤلف أو التأثر به ولهذا فالسبب لاختياري هذا الكتاب هو شموله مدة واسعة من الدولة الإسلامية وهذا يقودنا إلى معرفة الأوضاع الاقتصادية للدولة الإسلامية إذا ما علمنا أن الاقتصاد الحجر الأساس لفهم طبيعة الشعوب والدول وما تمر به من أزمات اقتصادية أو رفاهية وترف مما تؤدي بدورها الى تشكيل هذه الدولة على الصعيد السياسي والاجتماعي ومن ثم تطورها في شتى المجالات أو إخفاقها لعدم الوصول إلى مستوى متطور في المجالات كافة أما السبب الآخر لاختيار هذه الدراسة فهو الإطار التاريخي الذي شمل الكتاب فكانت دراسة تاريخية اقتصادية حسب التسلسل الزمني الممتد منذ زمن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى سنة ٧٤٦ هـ وهي مدة زاخرة بالأحداث السياسية والاجتماعية لتنوع الدول وامتداد البعد المكاني والزمني وما يرافقه من تنوع في المجالات الاقتصادية للدول المختلفة.

وقبل استعراض ما تضمنه البحث نذكر مقدمة موجزة عن مؤلف الكتاب فالمؤلف هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي الشيخ الأستاذ ،المحدث ،المؤرخ ،في أهل ميافارقين ولد

سنة ٦٧٣ هـ في دمشق لأسرة اشتهرت بالعلم إذ كان أبوه رجلا صالحا يعمل في الذهب ،فاتخذ من تلك الصنعة مهنة له فعرف بها ،ثم ما لبث الذهبي أن انصرف إلى العلم والرحلة من اجل العلم والمعرفة حتى صار عالم عصره لكثرة وغزارة تصنيفه إذ زادت مصنفاته عن مئة كتاب ،طبع قسم كبير منها ،وامتاز الذهبي بكثرة رحلاته لأرجاء العالم طلبا للعلم والمعرفة ثم استقر به المقام أخيرا في مسقط رأسه دمشق إذ قضى بقية حياته مشتغلا بالعلم والتأليف حتى توفي سنة ٧٤٨هـ .

أما كتابه (دول الإسلام) فانه مختصر عن كتابه الكبير المعروف بـ (تاريخ الإسلام) فقد تناول الكتاب من الهجرة النبوية الشريفة حتى سنة ٧٤٦ هـ وهي مدة لا يستهان بها في مدتها الزمنية ،ونرى اختصار الأحداث في جزأين حسب ما رآه المؤلف من الأهمية لهذه الأحداث ،ولهذا وقع اختياري على هذا الكتاب لاختصار المعلومات التاريخية ودمجها بالأحداث الاقتصادية ،إذ يعد البحث هو إحصاء لأحداث اقتصادية حسب أسبقيتها التاريخية كما أوردها المؤلف دون التدخل بإبداء الرأي أثناء الجرد ولكني أعطي الآراء قبل البدء بالموضوع وعند الانتهاء منه إذ كانت هناك ملاحظات تستدعي شرحها للقارئ .

فقد قسمت البحث إلى تسعة مواضيع تشمل المواضيع الاقتصادية ومن هذه المواضيع الغنائم فعرّفت معنى الغنيمة وتسلسلها حسب الحقب الزمنية ثم المصادرات وما كانت عليه وأسبابها والأشخاص الذين شملهم هذا النوع من المصادرات وأنواعها ثم موضوع التركات والدخل السنوي لبعض الشخصيات السياسية أو الاجتماعية المعروفة في الدولة وأسباب الزيادة الملحوظة في هذه التركات والدخول السنوية التي وصلت إلى مبالغ طائلة في حين أن الدولة في بعض الأحيان كانت تعاني من مشاكل اقتصادية كبيرة ومجاعات ويعود ذلك إلى أسباب متعددة أوردتها في هذا الموضوع .

أما الموضوع الآخر فهو الصدقات والعطايا والصلات وهذا النوع اختص به بعض الشخوص الذين امتازوا بالكرم والجود والعطاء وعدت من الأمور

الاجتماعية سواء عن طريق العطايا التي يهبها الخلفاء في المناسبات الرسمية وغير الرسمية لتشمل العلماء والشعراء وذوي المناصب المهمة أو الصدقات التي يتبرع بها أهل الجود والكرم للمساعدة ، ثم تناول البحث الحالة المعاشية وضم الرفاهية وارتفاع المستوى المعاشي وأسبابه في الدولة العربية الإسلامية والقسم الأخر ضم تدني المستوى المعاشي وبحثنا أسبابه والطرق التي كان على المسؤولين إتباعها للنهوض بالحالة المعاشية لتلافي المجاعات والمحن التي ألمت بها فترات واسعة في أنحاء العالم الإسلامي ، أما الموضوع الآخر فقد تناول الإنفاق على الجيش واهتمام الخلفاء والقادة حسب الحاجة التي تقتضيها الظروف التي تمر بها الدولة ، ثم موضوع أخر وهو الصلح والضرائب الذي شمل ما تصالح عليه المسلمين من أهل الذمة حقنا للدماء وكان على شكل أموال يتفق عليها الطرفين ، أما الجزية فهي التي تفرض على المنهزم وتشمل أموالا أيضا يقدر ثمنها الطرف المنتصر أما الموضوع الأخير الذي كان خاتمة البحث فقد أطلقت عليه أمور متفرقة وذلك بسبب ندرة المواضيع المعروضة فيه فقد كان يضم أسعار بيوت وكتب ومقدار مهور وصداق ومبالغ دفعت من اجل مناسبات اجتماعية كزواج وتولية ولاية عهد وكذلك أمور أخرى مثل كوارث طبيعية وما خلفته من خسائر قدرت بمبالغ هائلة وأثرها على الأوضاع الاقتصادية وكذلك أثمان مدن وأشخاص قدر لهم أن يكونوا ذا مناصب مهمة .

الغنائـــم(١) :

عند الاطلاع على كتاب الذهبي فيما يخص موضوع الغنائم نجد أمورا متباينة حولها إذ أن الغنائم هي واردات الدولة العربية الإسلامية من الفتوحات الإسلامية التي زخرت بها المراحل الأولى من الدولة إذ كان الجهاد هو احد الأركان المهمة للدولة الإسلامية لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام وما كان يرافق هذه الحروب من غنائم تقع في أيدي المسلمين ويتم توزيعها وفق الآية الكريمة ((واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى

والمساكين وابن السبيل))(٢) ، إذ كانت خمس هذه الغنائم تذهب إلى بيت المال ليوزع حسب الآية الشريفة والباقي يوزع على الجند ، ونجد اختلاف الغنائم من عصر إلى آخر فقد تفاوتت في عصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والخلافة الراشدة والعصر الأموي فكانت في زيادة وهذا يعود إلى توسع الفتوحات الإسلامية وما رافقها من كثرة هذه الغنائم في بداية الدولة العربية الإسلامية ونجد كذلك أن الذهبي تحدث عن الفتوحات التي جرت في المشرق والمغرب وهذا جرد لهذه الغنائم كما أوردها الذهبي حسب تسلسلها التاريخي:

ففي خلافة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتح المسلمون مملكة كسرى بقيادة سعد بن أبي وقاص وغنموا أموال الفرس .(٣)

وفي سنة ١٦ هـ كانت وقعة جلولاء وقتل أعداد من المجوس وبلغت الغنيمة ثلاثين مليون درهم.(٤)

وعندما سار والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالجيوش إلى المغرب وأفريقيا فافتتحها وتغلب على أهلها فأصاب كل رجل ألف دينار وخلف هذا الفتح من الغنائم ما يقارب سهم الفارس بثلاثة آلاف دينار .(٥)

وفي سنة ٣٢ هـ غنم المسلمون أموالا طائلة عندما جهز قارن المجوسي جيشا بأرض هراة(٦) ضد المسلمين بقيادة عبد الله بن خازم السلمي(٧) فقتل قارن وظفر المسلمون(٨) .

وفي سنة ٤١ هـ غزا المسلمون أطراف افريقية وغنموا وسبوا في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١_ ٦٠ هـ).(٩)

وفي سنة ٩٢ هـ سار طارق بن زياد إلى جزيرة الأندلس فالتقى ملكها وهزمه وافتتح مملكة الأندلس وغنم غنائم كثيرة وتملك عدة مدائن .(١٠)

أما في زمن الوليد بن عبد الملك (٨٦ _ ٩٦ هـ) كانت الفتوحات الكثيرة فكان في كل وقت يجيء البريد بفتح بعد فتح ويحمل إليه خمس الغنائم وامتلأت خزانته وعظمت هيبته وكان يقسم الدراهم بين الصالحين.(١١)

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ _ ١٠٥ هـ) غنم المسلمون ما لا يوصف من الترك بعد قتال عظيم .(١٢)

هذه الغنائم وقعت كلها زمن الخلافة الراشدة والدولة الأموية ونرى ذلك نتيجة توسع حركة الفتوحات الإسلامية وما رافقها من توسع سيطرت الدولة الإسلامية على مناطق واسعة ومن ثم ازدياد الغنائم التي ظفر بها المسلمون .

وعندما افتتح السلطان محمود بن سبكتكين في سنة ٤١٠ هـ الهند وأباد عباد النار ،وقتل من الكفار خمسين ألفا وهدم مدينة الصنم الأكبر وبلغ عدد الخمس من السبي ثلاثة وخمسين ألفا واستولى على مدائن وقلاع وحصل من الفضة نحو عشرين مليون درهم .(١٣)

ونلاحظ في زمن ابنه مسعود بن محمود بن سبكتكين استمر بغزو الهند أي في سنة ٤٢٦ هـ غزا الهند وقتل وسبى ،وبلغت الغنائم ما يقارب قيمته ثلاثين مليون درهم .(١٤)

وفي سنة ٥٠٥ هـ كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن تاشفين(١٥) و الإفرنج وانتصر فيها ابن تاشفين وغنم المسلمون أموالا كثيرة .(١٦)

وفي سنة ٥٧٥ هـ كانت وقعة مرج العيون(١٧) بين صلاح الدين والصليبيين وانتصر صلاح الدين حتى أن بعض الأسرى استفدوا أنفسهم بالأموال فبعث صلاح الدين إلى بغداد أسرى وتحف ونفائس.(١٨)

أما في سنة ٥٩١ هـ كانت وقعة الزلاقة(١٩) بين المسلمين بقيادة السلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وبين الفونش ملك الفرنجة في الأندلس فانتصر المسلمون واخذوا من الإفرنج ثمانين ألف فرس ومن البغال مئة ألف وبيع الأسير بدرهم والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم.(٢٠)

هذه الحوادث ترينا الغنائم التي استولى عليها المسلمون من الحروب التي خاضها المسلمون ضد الفرنجة أو عباد النار وهذا يعود إلى الانتصارات التي تحققت على يد المسلمين والبلاد التي فتحت .

المصـــادرات:

ظهرت المصادرات في الدولة العربية الإسلامية في زمن الخلافة الأموية ثم نراها في تزايد في العصر العباسي الأول والثاني وتعود أسبابها إلى أمور عدة منها عزل الولاة والوزراء وكبار رجالات السياسة والدولة فتصادر أموالهم وضياعهم فضلا عن الدسائس والمؤامرات التي حفلت بها العصور العباسية لتنوع العناصر الأجنبية في الحكم أو تقصير هذه الشخصيات المهمة في أداء المهمات والواجبات الملقاة عليهم أو الاستعانة أصلا بأشخاص يفتقدون المهارة والأمانة والكفاءة في أداء المهمات الملقاة عليهم وبذلك يتعرضون إلى سخط الخلفاء وما يرافقه من مصادرة لأملاكهم ، ونرى كذلك مصادرات لذخائر دول كما حصل مع الدولة الأموية عند زوال ملكهم من قبل العباسيين إذ صودرت جميع ذخائرهم وكذلك ما فعله التتار عندما استقام الأمر لقازان بعد إعلان إسلامه ودخوله دمشق وأصبح الحاكم المطلق لها إذ اخذ يصادر أموال الناس وهذا ما سوف نراه في مصادرة سنة ٦٩٩ هـ ، وفيما يلي هذه المصادرات كما أوردها الذهبي :

فقد عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٧ _ ٩٩ هـ) موسى بن نصير الأمير الذي افتتح المغرب والأندلس سنة ٩٧ هـ وسجنه وطالبه بأموال عظيمة.(٢١)

هنا مصادرة الخليفة لأموال احد ولاته الذي كان له الأثر الكبير في افتتاح المغرب والأندلس ولكن هذه الأمور لم تمنع الخليفة من مصادرته.

أما في زمن الخلافة العباسية وبالتحديد سنة ١٣٧ هـ فقد افتتح أبو مسلم الخراساني في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ _ ١٥٨ هـ) مصادرته لذخائر بني أمية عند زوال ملكهم(٢٢). وهذه أول مصادرة من قبل الدولة العباسة لدولة سابقة وهي الدولة الأموية .

ومن ثم في سنة ١٥٨ هـ صادر الخليفة المنصور خالد البرمكي واخذ منه ثلاثة مليون دينار ثم رضي عنه(٢٣) . وهنا يمكن أن نستنتج ما كان يملكه البرامكة من أموال هائلة في زمن المنصور إذ المبلغ المصادر يعد في وقته مبلغا هائلا .

وفي خلافة هارون الرشيد (١٧٠ _ ١٩٣ هـ) عندما سار إلى خراسان وقبض على ابن ماهان واخذ خزائنه وكانت أموال عظيمة نقلت على ألف وخمسين جملا(٢٤) . هنا مصادرة الخليفة لأحد ولاته نتيجة لتقصير الوالي في أداء مهامه وهذا نجده واضحا نتيجة لانقسام أقاليم واسعة من الدولة في تلك المدة وانفراد الولاة في السلطة .

والمصادرة الأخرى كانت من قبل الخليفة المعتصم (٢١٨ _ ٢٢٧ هـ) عندما غضب على وزيره الفضل بن مروان سنة ٢٢٠ هـ واخذ منه عشرة ملايين دينار ونفاه واستوزر أخر(٢٥).

وفي سنة ٢٣٧ هـ غضب الخليفة المتوكل (٢٣٢ _ ٢٤٧ هـ) على احمد بن داود القاضي وصادره واخذ منه ستة عشر مليون درهم(٢٦) . تعد هذه المصادرة من اكبر المصادرات التي وجدت في تلك المدة إذ ان مبلغ ستة عشر مليون درهم مبلغ هائل لم يصادر من وزير من قبل .

وفي سنة ٢٣٩ هـ عندما عزل قاضي القضاة يحيى بن اكثم اخذ منه مئة ألف دينار(٢٧).

وعندما قتل كبير الأمراء وصيف التركي اخذوا منه أموالا عظيمة وكان هذا سنة ٢٥٣ هـ(٢٨).

وفي سنة ٣٣١ هـ استولى ناصر الدولة (الحسن بن حمدان) على الدولة وقلل رواتب الخليفة المتقي بالله (٣٢٩ _ ٣٣٣ هـ) واخذ ضياعه وصادر العمال(٢٩) . هذه المصادرة اختلفت عن باقي المصادرات بان الخليفة نفسه تقلل رواتبه وتصادر ضياعه وبذلك اختلفت عن المصادرات السابقة بان الخلفاء هم مصدر المصادرة للولاة وقادة الجيش .

أما في سنة ٥٦٧ هـ انتصر صلاح الدين الأيوبي على سودان الصعيد وبقي يطلب من العاضد بالله (ت ٥٦٧ هـ) آخر خليفة فاطمي في مصر أشياء كثيرة من الأموال والخيل ليتقوى بذلك . فسار إلى العاضد يطلب منه فرسا ولم يكن بقي له سوى فرس واحد فنزل عنه وبعث إليه ،فلما استفرغ ما عنده من الأموال خلعه من الخلافة(٣٠) .

وفي السنة نفسها توفي العاضد وتسلم صلاح الدين القصر بما حوى واصطفى نفائس ما في الخزائن واستمر البيع على ما في القصر نحو عشر سنين ومن ذلك الكتب وكانت اكثر من مئة ألف مجلد(٣١) . إذ نجد صلاح الدين حتى بعد أن توفي العاضد فانه استمر بمصادرة الخزائن وبيعت الكتب الثمينة فيمكن أن نستنتج من مصادرة كهذه أن الدولة أصبحت توجهاتها عسكرية بحتة وليس الاهتمام بالثقافة والأدب .

وفي سنة ٦٨٧ هـ إذ كان (الشجاعي)(٣٢) بمصر يتعسف ويصادر وطلب كبراء دمشق وتجار الكارم (القلائد من الذهب والفضة) فصادرهم وفي النهاية عزل عن الوزارة واخذ منه خمسين ألف درهم(٣٣).

وهنالك نوع أخر من المصادرة كانت من قبل التتار للناس إذ في سنة ٦٩٩ هـ عندما دخلت التتار دمشق شرعوا بالمصادرة والنهب إذ حملت إلى خزانة (قازان)(٣٤) . ثلاثة ملايين وستمائة ألف من التراسيم وقتلوا أكثر الناس على المال وغلت الأسعار وافتقر الخلق(٣٥) . تعد مصارة حتى لو كانت على شكل نهب أو سلب من قبل التتار إلى البلاد التي غزوها واحتلوها لأنها مصادرات بطرق وحجج مختلفة.

الدخل السنوي والتركات لكبار رجال الدولة:

قبل الحديث عن الدخل السنوي لكبار الشخصيات السياسية والاجتماعية والتركات وأنواعها لابد من التفريق بين التركات والدخل السنوي إذ نعني بالدخل السنوي هو ما يدخل للشخص من أموال إثناء السنة المالية من وظيفة في الدولة أو من إيجار عقارات أو بساتين أو غيرها ، أما التركات فهي ما يتركه الشخص بعد وفاته من أموال منقولة وغير منقولة كان تكون عقارات أو ضياع أو أموال أو مجوهرات ثمينة وقد تكون عن طريق الإرث أو ما جمعه الشخص إثناء حياته الذي جعلني اجعلهما موضوعا واحدا هو إنهما يعبران عن الحالة المالية للأشخاص

من خلال استعراض هذه التركات والدخول السنوية ومدى تفاوتها من مدة إلى أخرى ومن بلد إلى أخر وسوف نورد ذلك كما جاء في كتاب الذهبي :

أن عبد الله بن مسعود الهذلي (ت ٣٢ هـ) صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) خلف تسعين ألف دينار(٣٦) .

أما الزبير بن العوام الاسدي (ت ٣٦ هـ) كان كثير المتاجر والأموال وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فربما تصدق بذلك في مجلسه ،وخلف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم(٣٧) . لا شك أن شخصية الزبير بن العوام غنية عن التعريف وانه كان كثير العطاء بسبب ما كان يملكه من الأموال الكثيرة.

أما طلحة بن عبيد الله التميمي (ت ٣٦ هـ) كان من الاجواد ولقب طلحة الفياض وطلحة الجواد ويقال: انه فرق في يوم واحد سبع مئة ألف ،وكان دخل طلحة في كل يوم ألف درهم ويقال خلف من المال مليون درهم ،ومائتي ألف دينار(٣٨) .

أما الخليفة المنصور فقد خلف في الخزائن مئة مليون درهم وستين مليون دينار فعندما ولي المهدي الخلافة فرقها جميعها(٣٩) . إذ كان يطلق على الخليفة المنصور أبو الدوانيق لكثرة اقتصاده وتدبيره ولا عجب أن في زمنه امتلأت خزائن الدولة بالأموال اذ تعد مرحلته من أكثر المراحل العباسية ازدهارا إذ كانت نسبة المصروفات اقل من نسبة المدفوعات .

أما دخل الليث بن سعد آلفهمي(٤٠) (ت ١٧٥ هـ) في السنة فهي ثمانون ألف دينار وما وجبت عليه زكاة مال قط(٤١) .

أما المعتصم ثامن خلفاء بني العباس فقد خلف من الذهب ثمانية ملايين دينار ومن الدراهم ثمانية عشر مليون درهم وثمانين ألف فرس ومثلها من الجمال والبغال ومن المماليك ثمانية ألاف مملوك وثمانية ألاف جارية(٤٢) .

وعندما مات بغا الكبير أبو موسى التركي (ت ٢٤٨ هـ) مقدم الجيش لدى الخليفة المتوكل خلف أموال عظيمة(٤٣) . لاشك أن امتلاك بغا لهذه الأموال الهائلة ما كان يتمتع به من نفوذ على حساب الخليفة المتوكل .

أما قبيحة أم الخليفة المعتز بالله (٢٥٢ _ ٢٥٥ هـ) فقد كان لها أموال لا تحصى فعندما طلب أمراء الترك من المعتز بالله عطاءهم طلب من أمه مالا فشحت عليه ولم يكن بالخزائن شيء أما أموالها الخاصة فقد قوموا جواهرها بمليوني دينار(٤٤) .

وخلف الأمير يعقوب بن الليث الصفار (ت ٢٦٥ هـ) خمسين مليون درهم ومليون دينار(٤٥) . ويعد الأمير الصفار من الملوك الذين امتلكوا الاقطاعات الكبيرة من الأراضي الزراعية وكانت تجبى منها أموال هائلة فكانت مصدرا لثروته الهائلة .

أما احمد بن طولون التركي أمير مصر والشام (ت ٢٧٠ هـ) فقد كانت تركته من الذهب الأحمر عشرة ملايين دينار وأربعة وعشرين ألف مملوك(٤٦) .

ويقال أن وزير المعتضد (٢٧٩ _ ٢٨٩ هـ) القاسم بن عبيد الله (ت ٢٩١هـ) كان دخله في السنة من أملاكه سبعمائة ألف دينار(٤٧) .

ودخل أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله (٢٩٥ _٣٢٠ هـ) من ملكه في السنة مليونا دينار وكان له من الخيل والمماليك ما لا يكون مثله لسلطان(٤٨) . إذ اشتهر ابن الفرات بسطوته ونفوذه لدى الخليفة المقتدر وانه عزل من الوزارة مرات عديدة ولكنه كان يرجع إليها بسطوة ونفوذ اكبر .

أما في سنة ٣٧٢ هـ مات عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي إذ انه طلب حساب ما يدخله في السنة فبلغ ثلاثمائة مليون وزيادة(٤٩) .

وقدرت غلة أملاك الشريف والد المرتضى في العام فيما نقل ابن الجوزي اكثر من مليوني درهم(٥٠) .

أما جاماكية (الدخل السنوي) وزير مصر أبو الفرج يعقوب بن كلس (ت ٣٨٠ هـ) فقد قدرت في السنة مئة ألف دينار وخلف أربعة آلاف مملوك وتحفا وجواهر(٥١) .

وعندما مات الشريف أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني المحدث نزيل سمرقند سنة (٤٨٠ هـ) كان ذا أموال كثيرة وقد تملك أربعين قرية تقريبا(٥٢). نجد هنا شخصية عامة امتلكت أموالا هائلة وممكن أن تعود هذه الأموال إلى أموال خاصة امتلكها ورثها عن أسلافه .

وفي سنة ٥١٥ عندما توفي بمصر الأفضل أمير الجيوش(٥٣) ترك تركة لم يسمع في الدنيا بمثلها كثرة كانت دوابه باثني عشر ألف دينار وكان لبن المواشي التي يغل في العام ثلاثين ألف دينار وعندما قتل اخذ منه مئة حمل دراهم وستة ملايين دينار(٥٤) . وهذه التركة لا شك كبيرة حتى بالنسبة إلى أكثر المراحل ازدهارا فما بال في هذه المرحلة وفي مصر بالتحديد وما مرت به البلاد من مجاعات وضائقات مالية كبيرة .

وقدرت تركة شمس الدين البهلوان بن الدكز صاحب أذربيجان وعراق العجم عندما توفي سنة ٥٨١ هـ خمسة ألاف مملوك أما من الخيل والدواب ثلاثين ألف رأس(٥٥) .

أما تركة صاحب حمص ناصر الدين محمد بن الملك أسد الدين شيركوه(٥٦) قدرت بمليون دينار(٥٧) . هذه التركة لا شك كانت كبيرة في زمنها والأرجح انه امتلكها من منصبه كوزير للخليفة العاضد واستغلاله لذلك المنصب .

أما صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الرويني (ت٥٨٩ هـ) فانه لم يخلف شيئا سوى دنانير ودراهم يسيره لأنه انفق أمواله في الغزو(٥٨) . هذا معروف عنه إذ انفق الأموال الهائلة في حروبه الكثيرة كما بينا سابقا في موضوع المصادرات حتى انه صادر الخليفة نفسه.

ويذكر أن نائب سلطنة مصر طرنطاي(٥٩) عندما هلك تحت الضرب خلف نعمة عظيمة منها من الذهب النقد مليون دينار وستمائة ألف دينار وكان ذلك سنة ٦٨٩ هـ(٦٠) . على الرغم مما كانت تمر به مصر من مجاعات وضائقة اقتصادية إلا إننا نجد مثل تلك الثروات الطائلة .

ويروى أن رشيد الدولة فضل بن أبي الخير بن أبي علي الهمذاني مدير ممالك التتار الذي كان عطارا يهوديا وطبيبا والذي أل إليه الحال بأنه سير الوزراء والأمراء من تحت أوامره ،وكثرت أمواله بحيث عند مقتله سنة ٧١٨ هـ بلغت ثروته مليون دينار(٦١) . أمر طبيعي لمنصبه الرفيع والذي بدون شك وفر عليه هذه الأموال الطائلة بالإضافة إلى ممارسته مهنة الطب .

عند الانتهاء من موضوع التركات والدخل السنوي يمكن ملاحظة أمور عدة من جملتها أن الدخول السنوية تفاوتت بشكل ملحوظ خلال فترات زمنية متعددة مع الأوضاع الاقتصادية الصعبة إذ لم تكن العلاقة بينهما دائما طردية إذ إنها لم تعبر عن أوضاع البلاد الاقتصادية في أكثر الأحيان وهذا يعود بطبيعة الحال إلى ما كانت تمتاز به بعض الشخصيات من الحضور لدى الخلفاء والمخصصات التي منحت إليهم من قبل بعض الخلفاء على الرغم من تدني الأوضاع الاقتصادية في هذه المرحلة فإننا نجد بعض الأمراء والسلاطين لم يخلفوا شيئا من التركات مثل صلاح الدين الأيوبي الذي انفق أمواله في الحروب على عكس بعض الشخصيات التي بلغت ثروته مقدار لم يسمع بمثلها مثل الأفضل أمير جيوش مصر الذي امتلك ثروة هائلة على الرغم من الضائقة المالية التي كانت تواجهها مصر في تلك المدة

الصدقات والعطايا والصلات:

قبل الخوض في ما ذكره الذهبي عن الصدقات والعطايا والصلات يجب أن نعرف هذه المصطلحات كل على حدة فتعني الصدقة كما أوردها الماوردي زكاة ، والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها(٦٢) وعدت بمثابة تطهير لذنوب المسلمين وزكاة لأموالهم كما في قوله تعالى ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها))(٦٣) وتكون الصدقات للفئات التي ذكرت في القران الكريم كما في الآية الكريمة ((إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم))(٦٤) . أما العطايا والصلات فكما أوردها الذهبي في كتابه الذي نحن بصدد دراسته تعني كل ما كان يقدمه الخلفاء والوجهاء أما لوجه الله تعالى لغرض المساعدة وهذا قليل لأنه يدخل ضمن أحكام الصدقة ، ولكن أكثر هذه العطايا والصلات كان يقصد من خلالها أغراض شخصية فردية تخص الشخص من اجل الحصول على أهداف سياسية أو اجتماعية كما هو الحال مع الخليفة معاوية الذي بالغ في العطايا للإمام الحسن عليه السلام

من اجل أن يتولى الخلافة وسار على هذا الطريق الكثير من الخلفاء منهم الخليفة المنصور الذي أكثر العطايا لعمه عيسى بن موسى ليتنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي وفعل المهدي نفس الشيء لتولية ابنه الهادي فهذه العطايا والصلات تعد أمور شخصية يرد منها فائدة فردية لشخص وليس للمساعدة أو تجاوز ضائقة مالية لدى الأفراد أما الأغراض الاجتماعية فكانت تمنح من قبل الخلفاء والوجهاء للعلماء والشعراء واختلفت الدوافع لها أيضا فبعضهم من هؤلاء كان محبا للأدب والعلم مثل الخليفة هشام بن عبد الملك الذي وصل العالم الزهري مبلغ سبعة ألاف دينار والخليفة المهدي الذي أجاز شاعرا خمسين ألف دينار وغيرها من العطايا والصلات وسوف نوردها كما يأتي :

كان طلحة بن عبيد الله (الفياض) يروى عنه أن إعرابيا من أقاربه قصده وتوسل إليه فوصله بثلاث مئة ألف دينار(٦٥) . تعد هذه صلة من قبل طلحة إلى احد أقاربه لما اشتهر به من كرم وسخاء في بذل الأموال .

كما أعطى معاوية الحسن بن علي (رضي الله عنه) أربعمائة ألف درهم عندما صالحه على أمر الخلافة وسمي عام الجماعة سنة ٤٠ هـ(٦٦) . كان الغرض من هذا العطاء مصلحة شخصية لمعاوية من اجل أن يتنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة .

ويذكر انه في سنة ٥٠ هـ بالغ معاوية في العطايا وإعطاء الأموال وخصوصا إكرام الحسين بن علي والزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ووصلهم بالأموال مقابل تولي ابنه يزيد ولاية العهد من بعده(٦٧) . وهذا عطاء أخر من قبل معاوية إلى شخصيات معروفة لم تكن بحاجة إلى عطاء معاوية إذ أن هذه الأموال رفضت من قبلهم كما هو معروف في المصادر التاريخية المختلفة .

أما ما يذكر عن تصدق حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الاسدي(٦٨) (ت ٥٤ هـ) إذ انه اعتق في الجاهلية والإسلام مائتي رقبة وباع لمعاوية دارا بستين ألفا وتصدق بها(٦٩) .

وقيل من كرم وسخاء عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي (ت ٧٩ هـ) انه كان كثير الأموال إلى الغاية وكان من كرمه إعالة أهل مئة وستين دارا من جيرانه وكسوتهم ، وكان يعتق في كل يوم مئة مملوك(٧٠) . شيء طبيعي من شخص امتاز بالكرم والسخاء في بذل الأموال على الرغم من المبالغة التي نجدها في عتقه في اليوم الواحد مئة مملوك لا شك أن هذا الأمر مبالغ به بعض الشيء .

ويذكر عن عطاء وجود مكحول(٧١) أبو عبد الله (ت ١١٣ هـ) انه أعطي في مرة عشرة ألاف دينار ففرقها كلها(٧٢) .

ويذكر إن هشام بن عبد الملك (١٠٥ _ ١٢٥ هـ) كان يصل العلماء فقد وصل العالم الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله المدني (ت ١٢٤ هـ) بسبعة ألاف دينار(٧٣). هذه الصلة بمثابة تشجيع للعلم والاحتفاء بأهله وتكريمهم .

أما الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥ _ ١٢٦ هـ) فقد أعطى فقيه دمشق يزيد بن يزيد بن جابر الازدي(٧٤) (ت ١٣٤ هـ) خمسين ألف دينار(٧٥) .

أما العطايا التي كان ينفقها عم الخليفة أبو جعفر المنصور سليمان بن علي العباسي أمير البصرة في بعض المواسم فقد بلغت خمسة ألاف درهم(٧٦) . تعد عطايا لوجه الخير من قبل أمير البصرة في مواسم دينية .

وروي أن العطايا التي كانت تعطى من اجل ولاية العهد فقد بلغت في زمن الخليفة المنصور عندما أعطى ابن عمه عيسى بن موسى مبلغ خمس مئة ألف دينار من اجل تنازله عن ولاية العهد لابن المنصور محمد المهدي(٧٧) .

وفي سنة ١٦٠ هـ كرر المهدي (١٥٨ _ ١٦٩ هـ) ما فعله المنصور عندما أعطى عيسى بن موسى عشرة ألاف ألف واقطاعات جليلة من اجل أن يخلع نفسه عن ولاية العهد إلى موسى الهادي(٧٨) .

تعد هذه العطايا هي بمثابة هبات من الخلفاء أو ولاة العهد من اجل التنازل لهم عن ولاية العهد أو جمع الأصوات لهم من اجل تولي الخلافة .

ويروى أن الخليفة المهدي أجاز شاعرا بخمسين ألف دينار(٧٩) أما عن ما اشتهر به بعض الخلفاء من تصدق فيروى أن هارون الرشيد كان يتصدق من ماله

في كل يوم بألف درهم(٨٠) وكذلك فعل من بذل الأموال من اجل أن يقدم ولده وهو صبي عمره خمس سنوات فأخذ يبذل الأموال للأمراء ليتم له ذلك(٨١) . إذا كان بعض الأموال أما كصدقة لوجه الخير أو كان لبذل الأموال من اجل مصلحة له كما فعل لتولي ولده الأمين لولاية العهد إذا هنا العطاء مزدوج .

أما في سنة ٢١٤ هـ أعطى المأمون عبد الله بن طاهر الخزاعي خمسمائة ألف دينار وأمره على ممالك خراسان كلها(٨٢) . هذا العطاء يعد من الأمور السياسية إذ كان الهدف منها هو إعطاء احد ولاة المأمون وهو عبد الله بن طاهر أموالا ليتدبر أمور خراسان عندما تولى أمرها .

ويذكر أن ألعيشي(٨٣) العلامة عبيد الله بن محمد (ت ٢٢٨ هـ) انفق على إخوانه في الله اربعمائة ألف دينار(٨٤) .

وفي سنة ٢٦٢ هـ أعطى الخليفة المعتمد (٢٥٦_٢٧٩ هـ) لمحمد بن طاهر نيابة خراسان وأعطاه عشرين ألف دينار(٨٥) . هذه عطية من قبل الخليفة المعتمد إلى احد نوابه على خراسان وهو محمد بن طاهر ليتصرف بها على شؤون البلاد وإدارة الإقليم .

ويروى انه لما قلد ابن الفرات الوزارة خلع عليه سبع خلعات وكان يوما مشهودا إذ انه سقي الناس يومئذ أربعين ألف رطل ثلج ولعل قيمة هذا الثلج في بغداد نحو ألف دينار(٨٦) .

وما يقال عن إسراف وبذخ الخليفة المقتدر بالله انه عندما ولي الخلافة بذخ في مجلسه أموالا عظيمة وباع ضياعا له ويقال انه كان مبذرا مسرفا للأموال ناقص الرأي أعطى جارية له درة اليتيمة وزنها ثلاثة مثاقيل وانه محق من الذهب ثمانين مليون دينار في أيامه(٨٧) . هذا الإسراف هو ما اشتهر به الخليفة المقتدر وتبذيره في صرف الأموال فقد كان من الخلفاء الذي عرف عنهم السفه في تبذيره لأموال الدولة .

ويذكر أن بجكم(٨٨) نائب بغداد أعطى للقرامطة(٨٩) عندما أعادوا الحجر الأسود إلى الكعبة خمسين ألف دينار فأبوا ذلك(٩٠) .

ويروى انه في سنة ٣٦٦ هـ عندما حجت الست جميلة بنت صاحب الموصل ناصر الدولة وصار حجها يضرب به المثل مما أنفقت من أموالها الخاصة إذ نثرت على الكعبة عشرة ألاف دينار للفقراء(٩١).

أما في سنة ٤١٩ هـ طلب الأمراء من جلال الدولة العطاء فأخرج لهم مصاغا بأزيد من مئة مليون فلم يرضهم ونهبوا دار الوزير أبو علي بن ماكولا وسقطت الهيبة ووقع النهب في الرعية فاخرج جلال الدولة لهم متاعا كثيرا(٩٢) .

وفي سنة ٥١١ هـ عندما توفي السلطان محمد بن السلطان ملك شاه السلجوقي جاء بعده ولده محمود ففرق خزائن أبيه في العسكر وكانت عشرة ألاف ألف دينار(٩٣) .

وفي سنة ٥٦٥ هـ حاصرت الإفرنج دمياط(٩٤) خمسين يوما ثم ترحلوا لأن نور الدين(٩٥) (ت ٥٦٩ هـ) ألهب بلادهم بالغارات وانفق العاضد بالله مليون دينار على يد صلاح الدين(٩٦) .

وعندما توفي الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر العباسي وصف عنه انه أعطى الأموال وأزال المظالم والمكوس(٩٧) وكان يقول:(الجمع شغل التجار ،إمام فعّال خير من إمام قوّال اتركوني افعل الخير ،فكم بقيت أعيش؟) وقد فرق في ليلة العيد في العلماء والصالحين مئة ألف دينار(٩٨) .

ويروى أن صاحب اربل الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري (ت ٦٣٠ هـ) بن صاحب اربل زين الدين علي كوجك التركماني كان ذا صدقات وبر وكان ينفق كل سنة على مولد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) نحو ثلاثمائة ألف دينار(٩٩) .

ويروى في سنة ٦٤٦ هـ ولدت امرأة ببغداد أربعة فمات واحد وأحضرت إلى دار الخلافة وتعجبوا منها وأعطيت ما قيمته ألف دينار واستغنت نتيجة هذه العطية(١٠٠) . يمكن عدها عطية لأجل هدية لشيء نادر حصل في تلك الفترة .

وفي سنة ٦٤٧ هـ عند قدوم الأمجد على السلطان بمفاتيح الكرك إذ أعطاه خمسين ألف دينار ،وبلد أسيوط ،وخبز مائتي فارس(١٠١) . يمكن عدها هدية

للأمجد بمناسبة تقديم الأخير مفاتيح الكرك فكان هذا بمثابة اعتراف السلطان بالخدمة الجليلة التي قدمها الأمجد .

وانفق اقطاي المملوكي سنة ٦٤٧ هـ على أمراء المماليك ثلاثمائة ألف دينار(١٠٢) وعندما دخل السلطان الظاهر بيبرس البيرة(١٠٣) في سنة ٦٧١ هـ وانهزم المغول فرق في أهلها مئة ألف درهم وخلع عليهم(١٠٤) .

ويروى عن ملك التكرور(١٠٥) موسى بن أبي بكر عندما قدم إلى الحج سنة ٧٢٤ هـ قدم للسلطان أربعين ألف دينار فخلع عليه خلعة سوداء وسيفا مذهبا وحصانا أشهب فدخل في خدمة السلطان(١٠٦) .

وكان الشيخ المتزهد محمد بن عبد الله ألمرشدي (ت ٧٣٧ هـ) مضرب الأمثال في الجود والعطاء وإطعام الطعام حتى قيل انه انفق في ثلاث ليال ما يساوي خمسة وعشرين ألف درهم(١٠٧) .

الحالة المعاشية (المستوى المعاشي):

تباينت الحالة المعاشية من عصر إلى أخر حسب الظروف الاقتصادية التي يمر بها البلد فقد وصلت في بعض الأحيان من الرفاهية حدا أن ازدادت الأموال التي تجبى إلى البلاد الإسلامية خصوصا زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومدة الخلافة الراشدة إذ فتحت البلاد وكثرت الأموال إلى حد اوجد فيه بيت المال الذي يعد من المؤسسات المالية العربية التي تتولى مسؤولية حفظ الأموال الداخلة إلى الدولة العربية الإسلامية ، فتناول الذهبي الرفاهية وانتقل من العصر الراشدي إلى العصر العباسي وبالتحديد خلافة المهدي ولم يذكر في كتابه الرفاهية التي شهدتها مرحلة أخرى وفيما يلي ذكر لهذه الرفاهية كما بينها الذهبي في كتابه :

فيروى إن في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتح الفتوحات وكثرت الأموال إلى حد اوجد بيت المال ووضع الديوان ورتب لرعيته ما يكفيهم وفرض للأجناد العطايا(١٠٨) .

وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان كثر الخراج إذ يروى أن الرفاهية تحققت على يد ابن كريز عندما استقر بالبصرة ونوابه على خراسان وسجستان والجبال وازداد المال من النواحي واتخذ عثمان خزائن عظيمة بالمدينة وكان يقسم بين الناس فيأمر للرجل بمائة ألف درهم ويقال اخذ المسلمون من خزائن كسرى مئة ألف بدرة(١٠٩) من الذهب(١١٠) .

وفي سنة ٣٢ هـ اتسعت الدنيا على الصحابة حتى كان الفرس يشترى بمائة ألف وحتى كان البستان يباع بالمدينة بأربع مئة درهم وكانت المدينة عامرة كثيرة الخيرات والأموال والناس تجبى إليها خراج الممالك وهي دار الإمام وقبة الإسلام فبطر الناس بكثرة الأموال والخيل وفتحوا أقاليم الدنيا(١١١) .

أما في العصر العباسي فيروى انه عندما ولي المهدي الخلافة فرق في سنة ١٦٠ هـ أموالا لا تحصى وأمر بإنشاء رواقات المسجد الحرام وحمل إليها الأعمدة الرخام في البحر وفرق في أهل الحرمين ما لم يسمع بمثله أبدا فقيل بلغ ثلاثون مليون درهم وفرق من الثياب مئة ألف ثوب وخمسين ألفا وحج بالناس وحمل معه الثلج إلى مكة وكان هذا لم يسمع بمثله من قبل(١١٢) .

أما القحط والغلاء فنرى كتاب الذهبي يسخر بهذا النوع من الروايات ويعود إلى أن هذه المدة الزمنية المتأخرة شهدت تدني المستوى ألمعاشي وهذا يعود إلى انحطاط الخلافة العباسية والتسلط الأجنبي وإهمال الجوانب الاقتصادية والمالية وقلة عناية المسؤولين بالجانب الاقتصادي والسرف والبذخ الذي شهده هذا العصر بالمقارنة مع المستوى المتدني للاقتصاد وعدم الاهتمام بالزراعة فكما وصف ابن خلدون المجاعات بان سببها هو قبض الناس أيديهم عن الفلح بسبب ما يقع في أخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتفاض الرعية وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل الاهتمام بالزرع فيقل الزرع وبالتالي تقل الأراضي الزراعية وبذلك يقل المورد الرئيسي للسكان .(١١٣)

هكذا نرى العوامل التي استنتجتها والتي أشار إليها ابن خلدون في فساد الأمور في المدة المتأخرة نتج عنه القحط والمجاعات والتي ذكرها ذلك المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة والتي تناولها في مصر تحديدا ، أما الذهبي فقد سرد هذه الحوادث وحوادث أخرى وقعت في بغداد إذ توالت المجاعات والقحط في بغداد في السنوات ٣٣٠ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٧٢٥ هـ وكان السبب ضعف الخلافة والتسلط الأجنبي من بويهيين وسلاجقة والذين لم يهتموا سوى بملىء خزائنهم على حساب الشعب ومقدراته فأهملوا الزراعة وكل ما يمد البلاد من واردات وبذلك شهدت هذه المدة تدني المستوى ألمعاشي كذلك تحدث الذهبي عن المجاعات التي حدثت في دمشق وحلب في سنوات ٥٩٦ و ٦٤٣ و ٧٠٠ و ٧٤٣ هـ ويعود هذا إلى الحروب والحصارات التي شهدتها دمشق والظروف الجوية القاسية في حلي وطبيعي ما يرافق هذه الأمور من جوع وغلاء إذ غلت أسعار المواد الغذائية وفي بعض هذه الأحيان ندرت هذه المواد حتى اضطر الناس إلى أكل الميتة وبيعت الأملاك والأمتعة بشيء يسير وكثر الموت في الطرقات وفيما يلي سرد هذه الحوادث كما أوردها الذهبي :

ففي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٩ _١٠١ هـ) عندما غزا المسلمون القسطنطينية فأصاب الجيش في القسطنطينية جوع عظيم حتى أكلوا الميتة(١١٤) . هذا شيء وارد في الحروب ولكنه لا يدل على الحالة الاقتصادية للدولة في زمن الخليفة سليمان .

وفي سنة ٣٣٠ هـ كان الموت والقحط العظيم ببغداد في خلافة المتقي بالله وأكلوا الجيف وبلغ الكر(١١٥) مائتي دينار وعشرة دنانير ونهبت بغداد وبلغ كر الدقيق ثلاثمائة دينار وزيادة(١١٦) .

وفي سنة ٣٣٣ هـ في خلافة المستكفي بالله (٣٣٣ _ ٣٣٤ هـ)عظم القحط في بغداد فكانت النساء يخرجن نحو العشرين ممسكات بعضهن ببعض يصحن الجوع الجوع ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتات(١١٧) .

وعندما ولي المطيع بالله الخلافة (٣٣٤ _ ٣٦٣ هـ) انحطت رتبة الخلافة واشتد أمر الغلاء حتى أكل لحم الآدميين وبيع العقار بالرغفان واشتروا للمطيع كر دقيق بعشرة ألاف درهم(١١٨) .

وفي سنة ٤٦٢ هـ كان القحط العظيم بمصر ولم يسمع بمثله من زمن يوسف الصديق حتى أكل بعضهم بعضا وماتوا جوعا حتى بيع كلب بخمسة دنانير وقط بثلاثة دنانير وبلغ إردب(١١٩) القمح مئة دينار(١٢٠) . اشتهرت مصر بهذه المدة بالقحط وتدني المستوى ألمعاشي وقد أورد هذه الناحية مؤرخو مصر ومنهم المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة .

ثم يذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه (مرآة الزمان مخطوط غير موجود بين أيدينا) أن امرأة خرجت في القاهرة وبيدها مد(١٢١) جواهر فقالت من يأخذ هذا بمد قمح؟ فلم يلتفت إليها احد فالقته في الطريق وقالت : ما نفعتني وقت الحاجة فلا أريدك فالعجب انه ما كان له من يلتقطه(١٢٢) .

وقال آخرون : ورد التجار من مصر ومعهم ثياب صاحب مصر وأمتعته نهبها الغلمان وبيعت من الجوع وخرج من خزائنهم نحو سبعين ألف ثوب من الديباج وأحد عشر ألف كزغيد(١٢٣) وعشرون ألف سيف مرصع حتى قيل أن رغيفا واحدا اشترى بخمسين دينارا وبقي المستنصر بالله يركب وحده وخواصه مشاة لا خيل لهم ثم يتساقطون من الجوع واستعار المستنصر بغلة الوزير ليركبها حامل الجتر(١٢٤) فغفلوا عنها على باب القصر فذبحتها الحرافشة (اللصوص)واكلوها فشبعوا وأصبحوا قد أكلوا بقية عظامها وبعث المستنصر نساءه إلى الشام خوفا من الجوع ودام الغلاء خمسة أعوام(١٢٥) .

وفي سنة ٥٩٦ هـ كان الحصار على دمشق والأفضل وأخوه الظاهر غازي بعساكرهم قد حفروا عليهم خندقا من ارض اللوان (ارض دمشق تقع بكفر سوسة) إلى البلد وعظم الغلاء بدمشق(١٢٦) .

ويروى أن في نفس السنة نفدت خزائن العادل على جنده وتبدل المسلمون بحرب الإفرنج بعضهم بعضا ثم استعان العادل بولده الكامل ليمده بأربعمائة ألف دينار فتقوى بها ثم تقدم العادل ودخل القاهرة وملكها ثم سلطن العادل ولده الكامل بمصر وخطبوا له وكان المصريون في شغل عن الملك بنقص النيل واقبل القحط والوباء المؤلم وخرجت ديار مصر وجلا عنها أهلها واشتد البلاء في السنة الآتية وأكلوا لحوم الآدميين وكسر النيل عن ثلاثة عشر ذراعا ينقص شيئا أو يزيد(١٢٧).

وفي سنة ٦٤٣ هـ عندما زحف الخوارزمية على دمشق واشتد البلاء ودام الحصار والويل خمسة أشهر وهلك العوام موتا وجوعا وقل الشيء بالبلد حتى بلغت غرارة (سلة كان الفلاحون يضعون بها القمح والشعير) القمح ألفا وستمائة درهم وبيع الخبز كل أوقيتين(١٢٨) بدرهم وأكلوا الميتة وبيعت الأملاك والأمتعة بالشيء اليسير وبيع رطل(١٢٩) اللحم بتسعة دراهم وامتلأ البلد بالموتى على الطرقات(١٣٠) .

وفي سنة ٦٤٣ هـ بلغت غرارة القمح في دمشق مئة دينار صورية (ثم ناصرية)وبيع خبز الشعير أوقيتان ونصف بدرهم ونزل السعر في أخر السنة إلى رطل بدرهمين ثم بعد شهر بيع الخبز رطل وثلث بدرهم(١٣١) .

ويروى أن في سنة ٦٩٤ هـ كسر النيل عن نقص كثير فخاف الناس وغلت الأسعار(١٣٢) .

وفي سنة ٦٩٥ هـ كان القحط المفرط بمصر وبلغ الإردب مئة وستون درهما وأكلوا الجيف وعظم البلاء ومات الخلق من الجوع وبلغ الخبز بمصر كل خمس أواق بالدمشقي بدرهم(١٣٣) .

وفي السنة نفسها كان الغلاء بدمشق إذ بلغت غرارة القمح مئة وخمسين درهما ويقال أحصي من مات بمصر والقاهرة في مدة شهر زادوا على مئة ألف ثم بلغت الغرارة بدمشق مئة وثمانين درهما وقل الناس وفنوا وانحط السعر(١٣٤).

وفي سنة ٧٠٠ هـ هلك عدد كبير من التتار بحلب من الثلج والغلاء وعز اللحم بدمشق حتى بيع الرطل بتسعة دراهم(١٣٥) .

أما في سنة ٧١٨ هـ كان القحط المفرط بديار الموصل واربل وأكلوا الجيف وباعوا أطفالهم وبلغ الخبز كل أربع أواق بالدمشقي بدينار ومات خلق من الجوع حتى أن رجلا باع ولده برغيف فأكله ثم مات وجرى ما لا يوصف وبقي ذلك أربع سنين وذكر رجلا انه أكل وأهله في نهار خبزا بثمانية عشر درهما وكانت تباع جزرة بدرهم قيمتها فلس وكان سبب القحط مجيء جراد عظيم(١٣٦) .

وفي سنة ٧٢٤ هـ كان الغلاء بدمشق وغيرها حتى بلغت غرارة القمح مائتي درهم ثم نزلت إلى مئة وعشرين(١٣٧) .

وفي سنة ٧٢٥ هـ كان الغرق العظيم في بغداد ودام أربعة أيام وانهدم ما لا يحصى وغلت الأسعار ووقع النهب(١٣٨) . يمكن تفسير غلاء المعيشة في هذه السنة بالتحديد يعود إلى كوارث طبيعية من فيضانات وما رافقه من غرق المحاصيل الزراعية ومن ثم التأثير الكبير على الزراعة ويمكن إرجاعها أيضا إلى الإهمال من قبل الدولة في تلافي حصول الفيضان فلو إنها اتخذت الإجراءات الضرورية للسيطرة على المياه من جراء الفيضانات لمنع هذا البلاء .

وأخيرا في سنة ٧٤٣ هـ حصل غلاء بدمشق بسبب حصار الكرك حتى بلغ الخبز بها إلى الأوقية بدرهم واكل الناس الشعير وبلغت غرارة القمح بدمشق إلى مائتين درهم واستمر الحصار إلى انقضاء هذه السنة أي سنة ٧٤٦ هـ(١٣٩) . هنا تدني المستوى بسبب الحروب وما يرافقها من حصار للعدو والذي يؤدي إلى قطع الإمدادات من أغذية وغيرها ومن ثم يشح المورد الغذائي وترتفع الأسعار ويتعذر على الناس شراء متطلباتهم الضرورية وتحصل المجاعات .

الإنفاق على الجيش:

يعد الجيش من الأركان الضرورية للدولة العربية الإسلامية إذ علمنا أن الأمة المسلمة هي امة مقاتلة أصل قيامها مبدأ الجهاد في سبيل الله وإعلاء لكلمة (الله اكبر ولا اله إلا الله) وكما ذكر في الآية الكريمة ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير))(١٤٠) فأصبح الإنفاق

على الجيش من ضروريات الدولة لما لهذا من اثر في نشر الإسلام وصد الهجمات الخارجية التي قد تتعرض لها الدولة وحماية الدين والوطن من الأعداء ولهذا أصبح الجيش الركن الأساسي الذي حرص المسؤولون على الدولة العربية الإسلامية منذ قيامها على يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الذين جاؤوا بعده على تنظيم شؤونه والاهتمام بأدق تفاصيله وكما خص الماوردي بابا كاملا في كتابه الأحكام السلطانية فقد ذكر أن المسؤول على الجيش يجب عليه أن يراعي أمورا عدة منها أمور المقاتلة الذين هم صنفان مرتزقة ومتطوعة فأما المرتزقة فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد يفرض لهم العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغنى والحاجة أما المتطوعة فهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار الذين خرجوا من النفير .(١٤١)

إذا أصبح الإنفاق على الجيش والاهتمام بشؤونه من أولويات اهتمام الدولة العربية حتى استحدث ديوان سمي ديوان الجند لينظم أعطيات الجيش ومقدارها وأسماء المقاتلة وغيرها من الأمور أما الإنفاق فقد اختلف من عصر إلى أخر ومن خليفة إلى أخر حسب ما تقتضيه الحاجة أو ما يقرره الخليفة أو المسؤول عن الجيش إذ أصبح الجيش في فترة ما مسخر لحروب داخلية وفتن وشغب بين الخلفاء وأعدائهم وكان يصرف على الجيش أموالا طائلة فلا شك إن هذه الفتن الداخلية كلفت خزينة الدولة مبالغ دون أن يكون لها مردود اقتصادي على الدولة على عكس ما كانت عليه الدولة العربية الإسلامية عند قيامها وفي مرحلتها الأولى إذ عدت حروب الدولة من الفتوحات التي جلبت الرخاء والرفاهية بما خلفته من غنائم وفيما يلي سرد لهذه الأمثلة كما أوردها الذهبي :

فيروى أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن عم الوليد بن يزيد بن عبد الملك لقب بالناقص لكونه عندما ولي الخلافة نقص أخباز الجند(١٤٢) . يعد يزيد الخليفة الوحيد انقص أخباز الجند إذ لم يذكر الذهبي أي خليفة قام بهذه الخطوة لا قبله ولا بعده .

أما إبراهيم بن الوليد اخو يزيد الناقص فقد انفق الخزائن لجمع الجند حوله ولكنهم خذلوه(١٤٣) .

وفي سنة ١٤٥ هـ اخذ إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من الخزنة ستمائة ألف وأنفقها في عسكرة عندما نزل البصرة(١٤٤) .

أما الخليفة المنصور فقد جهز جيش بلغ تعداده خمسين ألف فارس على رأسهم يزيد بن حاتم وانفق الأموال فبلغت نفقة الجيش ثلاثة وستين مليون درهم وهذه نفقة لم يسمع بمثلها أبدا(١٤٥) . لا شك أن هذا المبلغ كبير لما امتاز به المنصور من اقتصاد في المصاريف ولكن لا بد من هذا التجهيز للجيش لأنه الأساس في قيام الدولة العباسية وانتصارها على أعداءها المتربصين بها في فتراتها الأولى .

ويذكر عن الخليفة الأمين (١٩٣ _ ١٩٨ هـ) انه انفق الأموال الطائلة سنة١٩٥هـ على الأمراء والجيش من اجل التصدي لجيش أخيه ولم يقدر(١٤٦) .

وانفق الخليفة المعتصم في حرب بابك بيوت الأموال إذ انفق ما يقارب من مليون دينار(١٤٧) .

أما الخليفة المقتدر فقد انفق سنة ٣١٣ هـ على جيشه مليون دينار وجهزهم مع مؤنس الخادم لحرب القرامطة. (١٤٨)

ويروى في سنة ٤٩٤ هـ عندما كان النزاع بين الأخوين بركيارون(١٤٩) (ت ٤٩٨ هـ) ومحمد فانهزم محمد واسر وزيره مؤيد الملك فذبحه بركيارون بيده وانهزم محمد إلى جرجان فبعث يطلب من أخيه سنجر صاحب خراسان مالا وكسوة فبعث إليه بالأموال ثم بعد ذلك تفرق جند بركيارون وطلب من الخليفة مالا فحملوا إليه خمسين ألف دينار(١٥٠) .

وفي سنة ٥٤٩ هـ عندما عرض الخليفة المقتفي (ت ٥٥٥ هـ) جنده انفق فيهم ثلاثمائة ألف دينار(١٥١) .

وانفق العاضد بالله سنة ٥٦٥ هـ على حملة بقيادة صلاح الدين مليون دينار عندما حاصر الإفرنج دمياط خمسين يوما(١٥٢) .

أما الملك الظاهر بيبرس فقد انفق في الجيش ستمائة ألف دينار وكان هذا سنة ٦٧٤ هـ(١٥٣). نجد هناك حروبا قامت بين الأخوة وصرف عليها أموالا طائلة اذ لم يكن لها فائدة تذكر فقط استنزاف خزينة الدولة ونجد بالمقابل حروبا انفق فيها على الجيش من اجل مقاتلة الخارجين عن الدين مثل ما فعل الخليفة المعتصم في حربه مع بابك ألخرمي وكذلك الخليفة المقتدر الذي صرف على جيشه مبالغ كبيرة لحرب القرامطة .

الصلح والضرائب:

قبل الخوض في الصلح والضرائب لا بد من معرفة هذه المصطلحات فنعني بالصلح كما جاء في كتاب الذهبي هو ما تصالح عليه المسلمين مع أهل البلاد التي فتحوها وتكون مقدرة بالمال ويختلف مقدار المال حسب ما يتفق عليه الطرفين وقد شاع هذا المصطلح في المدة المبكرة من عمر الدولة العربية الإسلامية وذكر الذهبي الكثير في كتابه عن هذا النوع من الصلح في مدة مختلفة بدأها في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما فتح مدينة سابور وصالح أهلها ، وهناك نوع أخر من الصلح عندما صالح الخليفة عبد الملك بن مروان خوفا منه على المسلمين وان يحمل إليه في كل جمعة ألف دينار هذا الصلح يؤدي من قبل المسلمين إلى غيرهم على خلاف الصلح الذي حصل في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهم) وهناك صلح بين الخليفة وقواده الأتراك كما في الصلح الذي حصل في زمن القادر بالله الذي صالح الأتراك عندما طالبوه برسم البيعة بثلاثة ألاف دينار . أي أن الصلح يكون لحماية الفاتح أو خوفا على المسلمين أما الضرائب فكانت تفرض على المنهزم من المتخاصمين فهي قريبة من الصلح ولكننا نجدها في مدة متأخرة من عمر الدولة كما كانت بين المسلمين وغير المسلمين وفيما يلي ذكر هذه المصطلحات من صلح وضرائب كما أوردها الذهبي :

ففي خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما فتح مدينة سابور صالح أهلها في السنة بمبلغ قدره ثلاثة ملايين وثلاث مئة ألف درهم(١٥٤) وصالح عثمان بن أبي العاص وأبو موسى أهل أرجان(١٥٥) على مليوني ومائتي ألف وصالح أهل دارا بجرد(١٥٦) على مليون درهم(١٥٧) .

وفي خلافة عثمان بن عفان صالح ابن كريز أهل مدينة زرنج(١٥٨) على إعطاء ألف وصيف مع كل وصيف إناء فضة من الذهب وكذلك صالح أهل مرو بطلبهم على مليوني ومائتي ألف في السنة(١٥٩) أما الأحنف بن قيس فقد صالح أهل بلخ على أربعمائة ألف(١٦٠) .

وفي سنة ٥٤ هـ عندما غزا عبيد الله بن زياد خراسان افتتح بعض مملكة بخارى وصالحه أهل طبرستان على خمسمائة ألف درهم في السنة(١٦١) .

أما عبد الملك بن مروان فقد صالح ملك الروم خوفا منه على المسلمين أن يحمل إليه في كل جمعة ألف دينار(١٦٢) .

وفي سنة ٩٢ هـ صالح قتيبة أهل سمرقند بعد أن قاتلوه اشد قتال على مليوني درهم على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس(١٦٣) . تضمنت الفقرات السابقة الصلح وهذا ما نجده بوضوح في المدة الراشدة والمدة الأموية نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية مما اضطر الدولة إلى فتح مدن وبلاد متعددة وعقد الصلح مع شعوب تلك البلاد لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من البلاد المفتوحة فكان يتم الصلح بين الطرفين على مقدار من المال يتفق عليه الاثنان .

وفي خلافة المتقي بالله نزل بجكم واسط وقرر مع الخليفة انه يحمل إليه في السنة ثمانمائة ألف دينار(١٦٤) .

وفي سنة ٣٣٧ هـ ضعف أمر ناصر الدولة مع معز الدولة والتزم بان يحمل في السنة ثمانية ملايين درهم(١٦٥) . أي تصالح ناصر الدولة مع معز الدولة والتزم الضعيف منهم أن يحمل في السنة مبلغا من المال .

وفي خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢ _ ٤٦٧ هـ) طالبت الأتراك الخليفة برسم البيعة فقال: إن أبي لم يخلف شيئا وصدق لان القادر بالله (٣٨١ _ ٤٢٢ هـ) كان من أفقر الخلفاء ثم صالحهم على ثلاثة ألاف دينار ثم عرض خانا للبيع وصغر رتبة الخلافة إلى هذا الحد(١٦٦) . أي أن القائم بأمر الله صالح الأتراك بمبلغ من المال ليتجنب شرهم وهذا ما يدل على ضعف حال الخلافة في تلك المدة .

وفي سنة ٤٧٢ هـ طلب صاحب الموصل شرف الدولة العقيلي من ملك شاه أن يعطيه حلب على أن يحمل إليه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار(١٦٧) . وفي هذه الحالة صلح حيث اتفق شرف الدولة العقيلي أن يأخذ حلب ويحمل إلى ملك شاه مبلغ من المال في كل سنة .

وفي سنة ٥٦٤ هـ عندما اقبل الإفرنج في جمع عظيم ليأخذوا مصر حاصروا القاهرة فاحرق شاور(١٦٨) مصر ثم طلب ملك الفرنجة من شاور مليون دينار ليرحل فحمل شاور إليه مئة ألف دينار ووعده بجباية باقي الأموال(١٦٩) . هذه الحالة تعد ضريبة حملها شاور إلى ملك الفرنجة من اجل أن يرحل من مصر فنرى انه أعطاه قسما من هذه الأموال ووعده بجباية باقي الأموال .

وفي سنة ٥٦٩ هـ عندما توفي السلطان نور الدين ملك دمشق أبطل في سنة موته جميع المكوس من ممالكه إذ كان المبلغ في السنة خمسمائة ألف دينار وستة وثمانون ألف دينار واربعمائة دينار وعلى دمشق في العام أزيد من خمسين ألف دينار(١٧٠) . أي المكوس تعني الضريبة التي كانت مفروضة على الممالك التي تحت سيطرته .

وفي سنة ٥٧١ هـ عندما تسلم صلاح الدين منبج(١٧١) وعزاز(١٧٢) اخذ من منبج ما قيمته مليون دينار(١٧٣) . هذه ضريبة فرضها صلاح الدين على منبج .

وعندما طلبت الفرنجة من صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣ هـ الأمان تمنع ثم أجاب وقرر على كل رجل عشرة دنانير وعلى المرأة خمسة دنانير وعلى الصغير دينارين ومن اعجز أمهل أربعين يوما ثم يسترق وجمع المال فجاء سبعمائة ألف دينار فقسمها في العسكر(١٧٤) . وهذه ضريبة أخرى فرضها صلاح الدين على الفرنجة .

أما في سنة ٥٨٧ هـ عندما عظمت مضايقة الإفرنج للمسلمين طلب المسلمون الأمان على أن يسّلموا للفرنجة مائتي ألف دينار وألفا وستمائة أسير وصليب الصلبوات أي الصليب الأعظم عند المسيحيين لان فيه خشبة يدعون أن المسيح عليه السلام صلب عليها فوقع الأمان على هذا واخذوا عكا واحضر السلطان مئة ألف دينار وصليب الصلبوات والأسرى فأبوا إلا بجميع الأموال ثم بعد أيام كمل المال وكانوا ظنوا أن صلاح الدين فرط في الصليب فلما عاينوه خروا سجدا له ثم غدروا وقتلوا الجماعة صبرا فمنعهم السلطان من المال(١٧٥). نجد في هذه الفقرة أن صلحا وقع بين المسلمين أي (صلاح الدين) والفرنجة فاتفق الطرفان على أن يسلم صلاح الدين للفرنجة المبلغ المذكور والصليب الأعظم ولكن السلطان احضر جزءا من المال والصليب فرفضوا إلا بجميع الأموال ولكنهم غدروا فمنع السلطان تسليمهم المال .

وفي سنة ٦٤١ هـ أخذت التتار مملكة الروم وقررت على ملكها في السنة اربعمئة ألف دينار(١٧٦) . ضريبة فرضت من قبل التتار على ملك الروم .

أما في سنة ٦٦٨ هـ تسلم الملك الظاهر بيبرس حصون الإسماعيلية(١٧٧) وقرر عليهم أن يحملوا في العام مئة ألف درهم(١٧٨) . تعد ضريبة فرضها الظاهر بيبرس على الإسماعيلية .

في سنة ٧٣٧ هـ غزا المسلمون بلاد سيس(١٧٩) وضايقوا أصحابها حتى سلم ستة حصون فصولح على حمل ستمائة ألف في السنة(١٨٠) .

<u>أمور متفرقـــــة:</u>

أدرجت هذه الأمور المتفرقة في موضوع مستقل بسبب ندرتها وخصوصيتها وقد شملت شراء مدن وضمانات وبناء أسواق وجوامع وكلفة الزواج (المهور) وضرب الدنانير وأثمان كتب وعقارات والخسائر الناتجة عن الحرائق وأداء مراسيم الحج ومناسبات أخرى خاصة بالخليفة وما رافقه من بذخ وإسراف وغيرها من الأمور الأخرى وسوف نذكر هذه الأمور كما يلي :

ففي سنة ٧٠ هـ عندما حصل الوباء بمصر وفر عبد العزيز بن مروان متولي مصر إلى حلوان(١٨١) إذ اشتراها من القبط بنحو عشرة ألاف دينار وبنى بها دار السلطنة والجامع(١٨٢) .

وبنى الوليد بن عبد الملك جامع دمشق وقيل انه حلاه بالذهب والجواهر وأستار الحرير وبقي العمل فيه تسع سنين وكان يعمل فيه اثنا عشر ألف مزخم وغرم عليه من الدنانير المصرية زنة مئة قنطار(١٨٣) وأربعة وأربعين قنطارا بالدمشقي حتى صيره نزهة الدنيا(١٨٤) . أولى الوليد اهتماما بالعمارة وخير مثال بناؤه جامع دمشق الذي تم بإبراز الجوانب العمرانية فيه وترصيعه بالذهب والجواهر لجعله معلما دينيا وحضاريا رائعا .

ويروى أن ما أنفقه الحسن بن سهل وزير المأمون على عرس ابنته بوران من الخليفة المأمون في سنة ٢١٠ هـ إذ انفق الحسن في أيام العرس خمسين مليون درهم على أمراء الدولة(١٨٥) . هذا الزواج يعد من الأمور الباذخة والتي تدل على ما كان يمله الحسن بن سهل من الأموال وكذلك السخاء الذي تميز به من خلال ما أنفقه على زواج ابنته .

أما صداق قطر الندى(١٨٦) ابنة خمارويه(١٨٧) فقد بلغت أربعين ألف دينار إذ بعثها أبوها وجهزها بمليون دينار وأعطت الدلال مئة ألف درهم وكان هذا سنة ٢٨٢ هـ(١٨٨) . زواج صرف عليه مبالغ هائلة وعد مضرب الأمثال في البذخ والوجاهة .

واشترى محدث بغداد دعلج بن احمد السجزي التاجر (ت٣٥١ هـ) بمكة دار العباسية بثلاثين ألف دينار إذ انه كان ذا أموال عظيمة(١٨٩) . لا شك أن المبلغ المدفوع لهذا الدار مبلغ كبير في تلك المدة وهذا يدل على مكانة هذا البيت لدى محدث بغداد وثرائه في الوقت نفسه .

وبلغت كتب صاحب الأندلس المستنصر بالله أبو مروان الحكم بن الناصر لدين الله الأموي(٣٦٦ هـ) حوالي اربعمائة ألف دينار بسبب ميله للعلم وتحصيل الكتب بأغلى الأثمان من البلاد(١٩٠) .

ويذكر أن السلطان جلال الدولة ملك شاه بن ألب ارسلان بن جفري بك السلجوقي حفر الأنهار وعمل القناطر والأسوار وعمر ببغداد جامع كبير يقال انه انفق فيه عشرة ألاف دينار(١٩١) . هذه من الأمور التي يدل فيها على اهتمام السلطان جلال الدولة بشؤون العمران والبناء .

وفي سنة٦٠١هـ وقع حريق عظيم بدار الخلافة ببغداد وكان منظرا مهولا لم يرى مثله إذ احترق ما قيمته ثلاثة ألاف دينار وسبعمائة ألف دينار(١٩٢).

وعندما تكامل بناء المدرسة المستنصرية في سنة ٦٣١ هـ إذ أن خزانة كتبها ليس لها مثيل وأوقافها عظيمة غلت في بعض السنين سبعين ألف دينار وقيل أن قيمة ما وقف عليها يساوي مليون دينار(١٩٣) . إذ عدت المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي (٦٢٣ _ ٦٤٠ هـ) قبلة لطلاب العلم من جميع أنحاء العالم التي اشتهرت بكتبها التي لا مثيل لها وبقيت هذه المدرسة مضرب الأمثال في العلم على مر الأزمان .

أما عن الفساد المالي الذي شاع عن القاضي الجيلي قاضي دمشق الذي قتل سنة ٦٤١ هـ سرا لقلة دينه ولأخذه أموال الناس بالتزوير أقام شهود زور وأناسا يدعون على الرجل المتمول بمبلغ من المال فينكر ويحلف فيحضر المدعي شهوده الزور فيلزمه المال فيضج ويستغيث بالله فيقول ألجيلي أفرج على رضى غريمك فخرب ديار الناس(١٩٤) . هنا يدل على الفساد الذي وصل إليه القضاء في تلك المرحلة وكثرة الرشاوى وشهادة الزور وما تبعه من اخذ أموال الناس بالباطل وخراب الذمم .

وفي سنة ٦٤٨ هـ اشترط المسلمون على ملك الإفرنج أن يسلم دمياط ويحمل خمسمائة ألف دينار ثم يحمل إليهم اربعمئة ألف دينار ليطلق سراحه ويعد هذا المبلغ الذي دفعه الفرنسيون ثمنا لملكهم مبلغا يسيرا(١٩٥) . لان المبلغ الذي دفع عن دمياط أكثر من المبلغ الذي افتدى به الفرنسيون ملكهم .

أما ثمن اقطاي التركي (ت ٦٥٢ هـ) الذي اشتراه الملك الصالح فبلغ ألف دينار دفعها الملك الصالح ليشتريه(١٩٦) .

وفي سنة ٦٩٢ هـ بيعت بهنسا(١٩٧) بمائة ألف درهم(١٩٨) . بالنسبة إلى مدن أخرى كدمياط يعد هذا المبلغ يسيرا جدا .

وفي سنة ٧١٣ هـ شاع مصطلح روك أقطاعات الجيوش المنصورة وهو مصطلح في الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى للدلالة على عملية قياس الأرض ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الأخرى ومتعلقاتها(١٩٩) .

وفي سنة ٧٢٠ هـ حج وفد كبير من بغداد محمّل بالذهب والجواهر التي قومت بأزيد من مائتي ألف دينار مصرية(٢٠٠) .

ووقع حريق في حماة وذهبت أموال التجار وذلك سنة ٧٣٥ هـ واحترق مائتان وخمسون دكانا وقيل مائتان وخمسة وثلاثون دكانا(٢٠١) . هذه الحادثة تعد خسائر اقتصادية مني بها تجار حماة ولا بد إنها أثرت على اقتصاد مدينة حماة .

أما في سنة ٧٤٠ هـ وقع حريق كبير في دمشق بالدهشة بقيسارية القسي وذهبت أموال تجارها واحترقت المئذنة الشرقية وذلك من عمل النصارى أقرت ذلك طائفة منهم فصلب على أثرها احد عشر شخصا ثم توسطوا لذلك بعد أن اخذ منهم مليون درهم(٢٠٢).

وجدت من الأفضل أن ادمج هذه الأمور المختلفة في موضوع واحد لكي يطلع القارئ على أمور تعد من الأهمية التاريخية والاقتصادية ونوعا من الطرافة في بعض الأحيان لأنها لا يمكن أن تشكل كل حادثة منها بمفردها موضوعا مستقلا

الخاتمـــــة:

بعد الاطلاع على كتاب الذهبي (دول الإسلام) ومن خلال إحصاء للأمور الاقتصادية باختلاف أنواعها وأشكالها على الرغم من أن الذهبي كما بينت سابقا لم يبدِ آراءه الخاصة به أو لغيره من المؤرخين وعلى هذا الأساس استفدت من هذه الناحية في دراسة كتابه اقتصاديا في إطار تاريخي لإبداء أرائي الشخصية في كتابه ومن ثم استنتجت ما يأتي:

يمكن ملاحظة أن النشاط المالي للدولة العربية الإسلامية تفاوت بشكل ملحوظ في المدة الممتدة (١-٧٤٦ هـ) في كتاب دول الإسلام للذهبي .

عند دراسة موضوع الغنائم نجد تفاوتا في نسبتها فكانت وافرة في بدايات الدولة إذ ما عرفنا أن الأمة الإسلامية امة مقاتلة قامت على الفتوحات الإسلامية لنشر الدين الإسلامي إلى أرجاء واسعة من العالم فكان لا بد من وجود غنائم كثيرة متمثلة بالخراج من الأراضي الزراعية وأضافت ممتلكات جديدة وإيرادات كبيرة فأصبحت خزينة الدولة غنية بالأموال التي ترد إليها من أرجاء الدولة الإسلامية وبهذا وفر رفاهية عاشتها الدولة زمن ليس بالقصير مقارنة بالمعارك التي واجهت الدولة في العصور المتأخرة والتي كانت دفاعية أكثر منها فتوحات فتغيرت الحالة من الرفاهية إلى كيفية سد مصاريف الحروب والجيش ومتطلباته فأصبحت هذه الحروب تثقل كاهل الدولة بدل أن تكون موردا أساسيا للدولة .

نرى أن المستوى ألمعاشي بما احتواه من ارتفاع المدخولات أو انخفاضها يعود إلى أسباب متعددة هذه الأسباب قد تكون سياسة الدولة المتمثلة بالمسؤولين والإجراءات المتخذة من قبلهم فنرى في مرحلة الازدهار الاقتصادي أن الدولة امتازت بكثرة الواردات مقارنة مع المصروفات وكان هذا واضح زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ويمكن ربط الرفاهية باتساع الدولة الإسلامية لتشمل مناطق واسعة ومن ثم كثرة الإيرادات التي ترد إلى حاضرة الدولة الإسلامية من المناطق الواسعة التي كانت تحت سيطرة الخلافة الإسلامية وهذا وفر واردا كبيرا استطاع أن يسد حاجات الدولة من المواد الاستهلاكية المختلفة ، ما تدني المستوى ألمعاشي فيرجع إلى ضياع المناطق الغنية من الدولة الإسلامية وبقاء أجزاء محدودة تحت سيطرتها ومن ثم نلاحظ واردات كبيرة ضاعت من الدولة ومن ثم قلت الأموال الوفيرة التي كانت تجنى من هذه المناطق الغنية والسبب يعود إلى ضعف الدولة المتمثلة بالخلفاء من المرحلة المتأخرة للدولة

الإسلامية وسيطرة القوى الاستعمارية المختلفة على الخلافة العربية الإسلامية لتصبح الخلافة اسمية فقط .

أما في موضوع المصادرات وهو مصادرة المسؤولين من وزراء وقادة جيش ووجهاء وحتى الخلفاء في مراحل متأخرة إذ أن مصطلح مصادرة لم يرد في الدولة الإسلامية إلا في مرحلة ما بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وربما يرجع على حسب ما جاء في كتاب الذهبي إلى المؤامرات والدسائس والفساد الإداري والمالي الذي كان يستشري في بعض المراحل أو بسبب التقصير باداء المهمات الملقاة على هؤلاء المسؤولين وعد كفاءتهم الإدارية وقلة أمانتهم ونرى هذه الظاهرة امتدت حتى إلى الخلفاء كما يروي الذهبي بان هناك خلفاء تعرضوا للمصادرة خصوصا في مرحلة التسلط الأجنبي عندما أصبح وجود الخليفة اسميا فقط فكان القادة الأجانب كلما نفذت خزينة الدولة من الأموال يتعرض الخليفة لمصادرة أمواله .

أما في موضوع التركات والدخول السنوية للأشخاص فهناك تباين واضح في هذه الفقرة إذ ما علمنا أن التركات هي الأموال التي يخلفها الأشخاص لمختلف مستوياتهم ومهنهم المهمة وهذه تباينت في المدة الزمنية إذ لم ترتبط بالحالة المعاشية التي تمر بها الدولة فقد تعاني الدولة من تدني المستوى ألمعاشي وبالرغم من ذلك فان تركات بعض الشخصيات وصل مبالغ طائلة قدرت بملايين الدراهم والجواهر النادرة والأمتعة الفاخرة على الرغم مما كانت تعانيه الدولة من فقر مثال ذلك الأفضل أمير الجيوش في مصر الذي ترك تركة لم يسم في الدنيا بمثلها وغيره من أمراء مصر على الرغم من المجاعات الهائلة التي جعلت الناس يأكلون الجيف في مصر فإذن التركات لا يمكن قياسها بمستوى الدولة الاقتصادية أما الدخول السنوية فقد اختلفت مصادرها كان تكون رواتب تابعة للدولة وهذه اختلفت حسب الدول والمدة الزمنية أو تكون واردات شخصية للأفراد من ارث أو تجارات أو عقارات وغيرها ونراها أيضا لم تتأثر بالمستوى ألمعاشي التي تمر به الدولة من رفاهية أو قحط .

نرى في موضوع الإنفاق على الجيش تفاوتا كبيرا في العصور الأولى للدولة الإسلامية وعصورها المتأخرة ، ففي بداية الدولة نرى أن الإنفاق على الجيش عد من استراتيجيات الدولة لما لهذا القطاع من الأهمية للدولة الفتية في الشؤون الخارجية وكما بينا سابقا كان الهدف من الجيش هو الفتوحات ونشر الإسلام فحقق واردات سدت قضية الإنفاق عليه وجلبت واردات إضافية إلى خزينة الدولة ، أما في العصور المتأخرة فقد شكل الإنفاق على الجيش عبئ على خزينة الدولة لكثرة المصروفات والامتيازات التي تمتع بها قادة الجيش من رواتب باهظة فأصبح الهدف من الجيش هو قمع الشغب أو تمرد داخلي أو صد هجوم خارجي أي أصبح غرض دفاعي دون أن يحقق مردود مالي .

عند دراستي لكتاب الذهبي استنتجت أن هناك أمور اقتصادية نادرة أو منفردة لم تكن سائدة أو منتشرة بصورة واسعة ولهذا أدرجتها في موضوع منفصل لتعطينا صورة مختصرة على عصر ساد به نوع من الترف والبذخ والإسراف من هذا مناسبات صرفت عليها مبالغ طائلة تغنى بها الشعراء كالأعراس ومناسبات اجتماعية كولادة ابن خليفة ، وهناك نوادر مثل أثمان كتب بيعت بمبالغ طائلة لندرتها ، وأثمان دور بيعت بأموال كبيرة مقارنة في ذلك العصر ، أو مصطلحات اقتصادية شاعت في مراحل تاريخية معينة دلت على عصور تاريخية معينة ولهذا قمت بإدراج هذه المعلومات لأهميتها الاقتصادية والتاريخية وارتباطها الوثيق بما قمت بدراسته .

عند اطلاع القارئ على البحث يرى هناك مكاييل وأوزان مختلفة مثل الرطل والقنطار والأوقية والاردب والكر والمد والبدرة وغيرها من المصطلحات الاقتصادية المهمة التي كان لا بد من تعريفها ليتسنى للقارئ الإلمام بها وكان من نتيجتها أن استعنت بمصادر اقتصادية بحتة مثل كتاب الماوردي (الأحكام السلطانية) وكتاب المقريزي (إغاثة الأمة بكشف الغمة) والمعجم الاقتصادي للشرباصي ومعاجم لغوية لتعريف تلك المصطلحات .

الهوامـــــش

١. سورة الأنفال / أية ٤١ .

٢. الغنيمة : اسم يطلق على ما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة السلاح وقهر الكفار على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى وحكمه أن يخمس وسائره للغانمين خاصة. (الجرجاني ،علي بن محمد بن علي (ت ٨٦١ هـ) ،التعريفات ، المحقق/ الابياري ،ط/١ ،(بيروت ،دار الكتب العربي _ ١٤٠٥ هـ) ، ج/١ ،ص٢٠٩) .

٣. الذهبي ،دول الإسلام ،ج/١ ،ص٨ .

٤. الذهبي ، م.ن ،٨/١ .

٥. م.ن ،ص١٨ .

٦. هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة مملوءة بأهل الفضل والثراء وجاءها التتار فخربوها .(ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ،معجم البلدان ،(بيروت ،دار صادر _ بلات) ،مجلد /٥ ،ص٣٩٦ .

٧. أبو صالح عبد الله بن حازم السلمي أمير خراسان أيام فتنة ابن الزبير وأول من وليها سنة ٦٤ هـ ،قتل سنة ٧١ هـ بخراسان .(ابن الأثير ،عز الدين الجزري (ت ٦٣٠ هـ) ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق / خيري سعد ، (القاهرة،المكتبة التوفيقية _ بلات) ، ج /٣ ، ص٢٠٦) .

٨. الذهبي ، المصدر السابق ،٢٢ .

٩. م.ن ، ٣٧/١ .

١٠.م.ن ، ٣٩/١.

١١.م.ن ، ٨٤/١ .

١٢.م.ن ،٩١/١ .

١٣.م.ن ، ١ /٣٥٨، ٣٥٩ .

١٤.م.ن ،٣٧٢/١ .

١٥.يوسف بن تاشفين صاحب سبته ومراكش قلده الخليفة المقتدي بالله ما بيده من بلاد وبعث إليه الخلع والأعلام ولقبه بأمير المسلمين وهو الذي انشأ مدينة مراكش (السيوطي _ جلال الدين عبد الرحمن أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، تاريخ الخلفاء ،ط/١،تحقيق / رضوان جامع رضوان،(القاهرة ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع _ ٢٠٠٤)، ص٤٥٧) .

١٦.الذهبي ، المصدر السابق ، ١٠/٢ .

١٧.معركة وقعت سنة ٥٧٥ هـ بين السلطان صلاح الدين الناصر والصليبيين فانزل الهزيمة بهم وقتل منهم خلق كثير واسر من ملوكهم (ابن كثير _ أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ،البداية والنهاية،ط/٣ ،تحقيق /الشيخ محمد ألبقاعي ،(بيروت ،دار الفكر _١٩٩٨) ، ج/٨ ،ص٤٥٠) .

١٨.الذهبي ، المصدر السابق ، ٨١/٢ .

١٩.معركة وقعت بين الفونش ملك الإفرنج في بلاد الأندلس ومقر ملكه مدينة طليطلة مع الأمير يعقوب بن عبد المؤمن ملك العرب وانتصر بها المسلمون وغنموا غنائم كثيرة ينظر المعركة (ابن كثير ،البداية والنهاية ، ٨ /٤٧٦) .

٢٠.الذهبي ، دول الإسلام ، ١٠٠/٢ .

٢١.م.ن ، ٨٦/١ .

٢٢.م.ن ، ١٢٦/١ .

٢٣.م.ن ، ١٤٦/١ .

٢٤.م.ن ، ١٧٠/١ .

٢٥.م.ن ، ١٩٠/١ .

٢٦.م.ن ، ٢٠٨/١ .

٢٧.م.ن ، ٢١٠/١ .

٢٨.م.ن ، ٢٢٤/١ .

٢٩.م.ن ، ٣٠٢/١ .

٣٠.م.ن ، ٧١/٢ .

٣١.م.ن ، ٧١/٢ .

٣٢.سنجر الشجاعي ،قتل وقطع رأسه في القاهرة لما اشتمل عليه من الظلم والمصادرات والتعسف .(ابن تعزى بردى ،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ)،النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة،(المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر ،بلات) ، ج/٨ ، ص٤٦) .

٣٣.الذهبي ، المصدر السابق ، ٢١١/٢ .

٣٤.قازان بن أرغون بن ابغا بن هولاكو ملك التتار دخل الإسلام سنة ٦٩٣ هـ ففرح الناس بذلك وانتشر الإسلام في جيشه .ينظر (ابن تغرى ،المصدر السابق ، ٥٩/٨ والسيوطي ،المصدر السابق ،ص٥٧١) .

٣٥.الذهبي ، المصدر السابق ،٢٢٩/٢ .

٣٦.م.ن ، ٢٥/١ .

٣٧.م.ن ، ٣٠/١ .

٣٨.م.ن ، ٣١/١ .

٣٩.م.ن ، ١٥٦/١ .

٤٠.أبو الحارث الفهري ،شيخ الديار المصرية وعالمها أصله فارسي اصبهاني كان إماما ثقة حجة واسع العلم ،(الذهبي ،العبر في خبر من غبر ،ط/١ ، (بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٧)،ج/١ ، ص١٣٦).

٤١.الذهبي ، دول الإسلام ، ١٦٠/١ .

٤٢.م.ن ، ١٩٧/١ .

٤٣.م.ن ، ٢١٩/١ .

٤٤.م.ن ، ٢٢٦/١ .

٤٥.م.ن ، ٢٣٧/١ .

٤٦.م.ن ، ٢٤٢/١ .

٤٧.م.ن ، ٢٦٣/١ .

٤٨.م.ن ، ٢٨١/١ .

٤٩.م.ن ، ٣٣٨/١ .

٥٠.م.ن ، ٣٣٩/١_٣٤٠ .

٥١.م.ن ، ٣٤١/١ .

٥٢.م.ن ، ٤١٣/١ .

٥٣.الأفضل : بدر الجمالي الارمني كان صاحب الديار المصرية في عهد الدولة الفاطمية ولي بعد موت أبيه كان شهما ،ولي وزارة السيف والقلم للخليفة الفاطمي ثم للآمر ،وكان أذن للناس إظهار عقائدهم ثم قتل .(الحنبلي ،أبي الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٤) ج/٤ ،ص٤٧)

٥٤.الذهبي ، دول الإسلام ، ٢١/٢ .

٥٥.م.ن ، ٨٦/٢_٨٧ .

٥٦.أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان عم صلاح الدين خلع عليه الخليفة العاضد الفاطمي الوزارة ولقبه بالملك المنصور ،(ابن تعزى بردى ،النجوم الزاهرة ، ٣٨٧/٥_٣٨٨) .

٥٧.الذهبي ، دول الإسلام ، ٨٨/٢ .

٥٨.م.ن ، ٩٨/٢ .

٥٩.طرنطاي ،نائب المملكة المعظمة في دولة المماليك حسام الدين المنصوري ألسيفي ،اشتراه السلطان من أولاد ابن الموصلي ،ولما تملك الملك الاشرف قبض عليه وعذبه إلى أن مات واخذ جميع أمواله،(الذهبي ،العبر، ٣٢٨/٢) .

٦٠.الذهبي ، دول الإسلام ، ٢١٢/٢_٢١٣ .

٦١.م.ن ، ٢/٢٥٦ .

٦٢.أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط/٣، ضبطه وصححه/ احمد عبد السلام ، (بيروت ،دار الكتب العلمية _٢٠٠٦) ، ص١٤٥ .

٦٣.سورة التوبة / أية ١٠٣ .

٦٤.التوبة / ٦٠ .

٦٥.الذهبي ، المصدر السابق ، ١/٣١ .

٦٦.م.ن ، ١/٣٦ .

٦٧.م.ن ، ١/٣٩ .

٦٨.ابن أخي خديجة الشريف الجواد ،عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام ،(الحنبلي ،شذرات الذهب ، ١/٦٠) .

٦٩.الذهبي ،دول الإسلام ، ١/٤٥ .

٧٠.م.ن ، ١/٦٩ .

٧١.مكحول ،إمام أهل الشام ،للإمام الفقيه الصائم ،روي الكثير عن ورعه وزهده ،ينظر (الأصفهاني ،أبي نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٦) ، ج/٥ ، ص١٧٧) وينظر (المسعودي ،مروج الذهب ومعان الجوهر ،ط/١ ، عني بتصحيحه وتنقيحه/شارل بلا ،(المطبعة الكاثوليكية _١٤٢٢ هـ) ،ج/٧ ،ص٦١٨) .

٧٢.الذهبي ،دول الإسلام ، ١/١٠٢ .

٧٣.م.ن ، ١/١١٢ .

٧٤.الازدي ،من أهل البصرة ،قدم من عباد بن زياد وسكن دمشق ،ينظر(ابن عساكر _ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ،تاريخ مدينة دمشق ، ط/١، دراسة وتحقيق/ محب الدين العمروي (بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٨) ، ج/٦٥ ،ص١٣٤).

٧٥.الذهبي ، دول الإسلام ، ١/١٢٤ .

٧٦.م.ن ، ١/١٣٠ .

٧٧.م.ن ، ١/١٣٧ .

٧٨.م.ن ، ١/١٤٧ .

٧٩.م.ن ، ١/١٥٦ .

٨٠.م.ن ، ١/١٧٠ .

٨١.م.ن ، ١/١٧١ .

٨٢.م.ن ، ١/١٨٥ .

٨٣.عبيد الله بن محمد ألعيشي البصري الإخباري ،احد الفصحاء الاجواد ،أمه عائشة بنت طلحة ،ينظر (الحنبلي ،شذرات الذهب ، ٢/٦٤) .

٨٤.الذهبي ، دول الإسلام ، ١/١٩٧ .

٨٥.م.ن ، ١/٢٣٤ .

٨٦.م.ن ، ١/٢٨١ .

٨٧.م.ن ، ١/٢٨٨ .

٨٨.بجكم : أمير الأمراء ولاه الراضي على بغداد سنة ٣٢٦ هـ .(الذهبي ،دول الإسلام ، ١/٢٩٧).

٨٩.القرامطة : هؤلاء طائفة من الباطنية الملاحدة سموا قرامطة نسبة إلى رجل من سواد الكوفة اسمه حمدان قرمط .(ابن واصل /جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٩٦٧ هـ) ، التاريخ ألصالحي سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم ، ط/١،تحقيق/عمر عبد السلام تدمري ،(بيروت ،المكتبة العصرية _٢٠١٠،ج/١،ص٤٧٧)) .

٩٠.الذهبي ، المصدر السابق ، ١/٣١٠_٣١١ .

٩١.م.ن ، ١/٣٣٣ .

٩٢.م.ن ، ١/٣٦٥_٣٦٦ .

٩٣.م.ن ، ٢/١٦ .

٩٤.دمياط :مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم وهي ثغر من ثغور المسلمين ينظر(ياقوت ، معجم البلدان ، مج/٢ ، ص٤٧٢_٤٧٣) .

٩٥.محمود بن أبي سعيد زنكي بن اقسنقر التركي ،الملك العادل نور الدين اعدل ملوك زمانه بالإجماع ،وأكثرهم جهادا ،افتتح حصونا كثيرة ينظر (الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط/١ ،تحقيق /مصطفى عبد القادر عطا،(بيروت ،دار الكتب العلمية _٢٠٠٥)،مجلد/١١ ، ص٨٥٥) .

٩٦.الذهبي ،دول الإسلام ، ٢/٦٩ .

٩٧.المكس :في اللغة الجباية ،والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ،والماكس هو العاشر او العشار ،ويقال للعشار:صاحب المكس ،ينظر (الشرباصي ،د.احمد ،المعجم الاقتصادي الإسلامي ،(دار الجيل _١٩٨١)،ص٤٣٦)).

٩٨.الذهبي ، دول الإسلام ، ٢/١٣٤ .

٩٩.م.ن ، ٢/١٤٢ .

١٠٠. م.ن ، ٢/١٦٢ .

١٠١. م.ن ، ٢/١٦٢.

١٠٢. م.ن ، ٢/١٦٣ .

١٠٣. البيرة :هي قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات في البر الشرقي لأترام ولها واد يعرف بوادي الزيتون وهي بلدة ذات أسواق وقلعتها على صخرة .ينظر (ابن سباهي زاده _ محمد بن علي البروسي (ت ٩٩٧هـ)،أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، ط/١ ،تحقيق (المهدي عبد الرواضية ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي _٢٠٠٦) ، ص٢٣٨ .

١٠٤. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢/١٩١ .

١٠٥. التكرور :وهي مدينة على النيل بالقرب من ضفافه طعام أهلها السمك والذرة والألبان ولباس عامة أهلها الصوف وخاصتهم القطن.(القلقشندي _ أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ،صبح الأعشى في صناعة الانشا ،(القاهرة ،المطبعة الأميرية _١٩٢٠)، ج/٥ ،ص١٧٥).

١٠٦. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢٦٥/٢_٢٦٦ .

١٠٧. م.ن ، ٢٨٢/٢ .

١٠٨. م.ن ، ١٧/١ .

١٠٩. بدرة : كيس فيه ألف أو عشرة ألاف درهم ،أو سبعة ألاف دينار ،ينظر (الشرباصي، المعجم الاقتصادي ،ص٤٨) .

١١٠. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢٣/١ .

١١١. م.ن ، ١٤٩/١ .

١١٢. م.ن ، ١٤٩/١ .

١١٣. عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) ،مقدمة ابن خلدون ،ط/٤ ،تصحيح وفهرسة / أبو عبد الله السعيد المندوة (بيروت ،مؤسسة الكتب الثقافية _٢٠٠٥)، مجلد/١ ،ص٣٢٣)

١١٤. الذهبي ، دول الإسلام ، ٨٥/١ .

١١٥. الكر:مكيال لأهل العراق وفي حديث ابن سيرين :إذا بلغ الماء كر لم يحمل نجسا والكر :ستة أوقار حمار وهو عند أهل العراق ستون قفيزا،(ابن منظور ،أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ،لسان العرب، ط/١ ،(بيروت_دار صادر_١٩٩٠) مج/٥ ، ص١٣٧) .

١١٦. الذهبي ،دول الإسلام ، ٣٠١/١ .

١١٧. م.ن ، ٣٠٥/١ .

١١٨. م.ن ، ٣٠٧/١ .

١١٩. اردب :مكيال ضخم بمصر يضم أربعة عشر صاعا ،أو ست ويبات ، ينظر كل من (الصالح _صبحي،النظم الإسلامية ،نشأتها وتطورها، ط/١،(قم

_ منشورات الشريف الرضي _١٩٦٥) ، ص٤٢١.العاني_ تقي ،دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب ،(بغداد_١٩٨٨) ، ص١٠٣).

١٢٠. الذهبي ، دول الإسلام ، ٣٩٥/١ .

١٢١. مد :مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذ ملاهما ،ومد يده بهما وبه سمي مدا ،(الفيروزابادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ،(بيروت _دار الجيل) ج/١ ، ص٣٤٩) ، الصالح _صبحي ،النظم الإسلامية ص٤٢١ .

١٢٢. الذهبي ، دول الإسلام ، ٣٩٥/١ .

١٢٣. معطف قصير يصنع من القطن أو الحرير ،(الذهبي ،دول الإسلام ، ٣٩٦/١) .

١٢٤. مظلة من حرير اصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس الخليفة أو السلطان في المواكب الرسمية يوم العيد (الذهبي ،دول الإسلام ، ٣٩٦/١) .

١٢٥. الذهبي ، دول الإسلام ، ٣٩٦/١ .

١٢٦. م.ن ، ١٠٣/٢ .

١٢٧. م.ن ، ١٠٣/٢_١٠٤ .

١٢٨. أوقية :وزن أربعين درهم ،(البلاذري _احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)،فتوح البلدان ،المحقق /رضوان محمد رضوان ، بيروت ،دار الكتب العلمية _١٤٠٣ هـ ج/١ ،ص٧٥) والمقريزي _تقي الدين احمد بن علي (ت هـ) ،إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ط/٣ ،(القاهرة ،مطبعة دار الكتب والوثائق العلمية _٢٠٠٢) ، ص٤٩) .

١٢٩. رطل :اثنا عشر أوقية ،(البلاذري ،فتوح البلدان ، ٤٥٢/١) و(المقريزي ،إغاثة الأمة ، ص٤٩) .

١٣٠. الذهبي ، دول الإسلام ، ١٠٤/٢ .

١٣١. م.ن ، ١٥٨/٢ .

١٣٢. م.ن ، ٢٢١/٢ .

١٣٣. م.ن ، ٢٢٢/٢ .

١٣٤. م.ن ، ٢٢٢/٢ .

١٣٥. م.ن ، ٢٣١/٢ .

١٣٦. م.ن ، ٢٥٥/٢ .

١٣٧. م.ن ، ٢٦٥/٢ .

١٣٨. م.ن ، ٢٦٦/٢_٢٦٧ .

١٣٩. م.ن ، ٢٩١/٢ .

١٤٠. سورة الأنفال / أية ٣٩ .

١٤١. الأحكام السلطانية ، ص٤٤ .

١٤٢. الذهبي ، دول الإسلام ، ١١٤/١ .

١٤٣. م.ن ، ١١٥/١ .

١٤٤. م.ن ، ١٣٣/١ .

١٤٥. م.ن ، ١٤٤/١ .

١٤٦. م.ن ، ١٧٢/١ .

١٤٧. م.ن ، ١٩١/١_١٩٢ .

١٤٨. م.ن ، ٢٨٢/١ .

١٤٩. بركيارون الابن الأكبر لملك شاه ملك السلاجقة أصبح ملك خراسان سنة ٤٩٠ هـ وتوفي سنة ٤٩٨ هـ وأصبح ولده جلال الدولة ملك شاه ملكا بعده .(السيوطي ،تاريخ الخلفاء ،ص٤٥٩ ص٤٦١) .

١٥٠. الذهبي ، دول الإسلام ، ٤٢٩/١_٤٣٠ .

١٥١. م.ن ، ٥١/٢ .

١٥٢. م.ن ، ٦٩/٢ .

١٥٣. م.ن ، ١٩٤/٢ .

١٥٤. م.ن ، ١٨/١ .

١٥٥. أرجان :مدينة كبيرة كثيرة الخير بينها وبين شيزار ستون فرسخا وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا أول من أنشاها قباذ بن فيروز والد انو شروان العادل ،(ياقوت ، المصدر السابق ، مج/١ ، ص١٤٣) .

١٥٦. دار أبجرد :ولاية بفارس ينسب إليها كثير من العلماء وهي قرية من كورة اصطخر وبها معدن الزئبق وهي موقع بنيسابور ،(ياقوت ، المصدر السابق ، ٤١٩/٢) .

١٥٧. الذهبي : دول الإسلام ، ١٨/١ .

١٥٨. زرنج :هي قصبة سجستان وسجستان اسم الكورة كلها ،(ياقوت ، المصدر السابق ، ١٣٨/٣) .

١٥٩. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢٠/١ .

١٦٠. م.ن ، ٢١/١ .

١٦١. م.ن ، ٤٤/١ .

١٦٢. م.ن ، ٦٤/١ .

١٦٣. م.ن ، ٧٩/١ .

١٦٤. م.ن ، ٣٠٠/١ .

١٦٥. م.ن ، ٣٠٩/١ .

١٦٦. م.ن ، ٣٦٩/١_٣٧٠ .

١٦٧. م.ن ، ٤٠٦/١ .

١٦٨. شاور :وزير العاضد ،امتاز بأفعاله القبيحة وأساء السيرة في الرعية واخذ أمر مصر في وزارته في إدبار ،(ابن تعزى بردى ،النجوم ، ج/٥ ، ص٣٤٦) .

١٦٩. الذهبي ، دول الإسلام ، ٦٧/٢ .

١٧٠. م.ن ، ٧٤/٢ .

١٧١. منبج :بلد قديم أول من بناه كسرى لما غلب على الشام وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات بينها وبين الفرات ثلاث فراسخ وبينها وبين حلب عشر فراسخ ،(ياقوت ، المصدر السابق، ٢٠٥/٥) .

١٧٢. عزاز :الأرض الصلبة وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهي عذبة المياه طيبة الهواء ،(ياقوت ، م.ن ، ١١٨/٥) .

١٧٣. الذهبي ، دول الإسلام ، ٧٧/٢ .

١٧٤. م.ن ، ٩٠/٢_٩١ .

١٧٥. م.ن ، ٩٥/٢ .

١٧٦. م.ن ، ١٥٦/٢ .

١٧٧. الإسماعيلية : هم فرقة من فرق الشيعة انفصلت عن الدولة الناجية وهم أتباع الداعية الحسن بن الصباح بدأت دعوتهم عند صعود الحسن بن الصباح قلعة آلموت سنة ٤٨٣ هـ إذ دعا الناس إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان ووصفوا بالملاحدة بعد وفاة الحسن بن الصباح سنة ٥١٨ هـ.(الشهرستاني _أبي بكر محمد عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٥٤٨ هـ)،الملل والنحل ،ط/٢ ،اشرف على الكتاب صدقي جميل العطار،(بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _٢٠٠٢)، ص١٥٧) .

١٧٨. الذهبي ، دول الإسلام ، ١٨٨/٢ .

١٧٩. سيس :بلدة كبيرة ذات قلعة وهي أعظم مدن الثغور الشامية بين إنطاكية وطرطوس. (ياقوت ، المصدر السابق ، ٢٩٧/٣) .

١٨٠. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢٨٢/٢ .

١٨١. حلوان :قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل وبها دير ذكر في الديرة وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان ،(ياقوت ، المصدر السابق ، ٢٩٣/٢) .

١٨٢. الذهبي ، دول الإسلام ، ٦٤/١ .

١٨٣. قنطار :يساوي مائة مثقال ،المثقال عشرون قيراطا القيراط واحد ،القناطير واحدها قنطار ،(ابن منظور ،لسان العرب ، ١١٩/٥) .

١٨٤. الذهبي ، دول الإسلام ، ٧٦/١ .

١٨٥. م.ن ، ١٨٣/١ .

١٨٦. قطر الندى:هي ابنة خمارويه بن احمد بن طولون زفت إلى الخليفة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨٢ هـ . (السيوطي،تاريخ الخلفاء ،ص٤٠٣).

١٨٧. هو أبو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون أمير مصر ذبحه بعض خدمه سنة ٢٨٢ هـ وولوا بعده ولده جيش(السيوطي ،حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،ط/١ ،تحقيق /علي محمد عمر ،(القاهرة، مكتبة الخابجي _٢٠٠٧)،ج/١ ، ص٥٦٣) .

١٨٨. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢٥٢/١ .

١٨٩. م.ن ، ٣٢١/١ .

١٩٠. م.ن ، ٣٣٤/١ .

١٩١. م.ن ، ٤١٧/١ .

١٩٢. م.ن ، ١٠٨/٢ .

١٩٣. م.ن ، ١٤٢/٢_١٤٣ .

١٩٤. م.ن ، ١٥٦/٢ .

١٩٥. م.ن ، ١٦٥/٢ .

١٩٦. م.ن ، ٦٩/٢ .

١٩٧. بهنسا :هي ربوة التي ذكرها الله تعالى في سورة المؤمنين أية/٥٠،وهناك بئر في المعبد يستشفون بمائه من الأمراض ،وهي ارض بمصر كانت مريم وابنها (عليهما السلام)يستقيان ويتوضآن منها للصلاة ،(الواقدي _محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي (ت ٢٠٧ هـ) ،فتوح الشام ،تحقيق / هاني الحاج ،(مصر ،المكتبة التوفيقية _ بلات) ، ج/٢ ، ص٢٨٩_٢٩٠) .

١٩٨. الذهبي ، دول الإسلام ، ٢١٧/٢_٢١٨ .

١٩٩. م.ن ، ٢٤٧/٢ .

٢٠٠. م.ن ، ٢٦٠/٢ .

٢٠١. م.ن ، ٢٧٩/٢ .

٢٠٢. م.ن ، ٢٨٥/٢ .

قائمة المصادر والمراجع

١- القران الكريم

- ابن الأثير _ عز الدين الجزري (ت ٦٣٠ هـ)

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة،تحقيق/خيري سعد،(القاهرة،المكتبة التوفيقية_بلات) .

- الأصفهاني _ أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،(بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٦).

- البلاذري _ احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)

٤- فتوح البلدان،المحقق/ رضوان محمد رضوان ،(بيروت ،دار الكتب العلمية _١٤٠٣).

- ابن تغزى بردى _ جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ)

٥- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ،(المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر _ بلات).

- الجرجاني _ علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)

٦- التعريفات ، ط/١،المحقق/إبراهيم الابياري ،(بيروت ،دار الكتاب العربي _ ١٤٠٥هـ)

- ابن خلدون _ عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)

٧- مقدمة ابن خلدون ، ط/٤ ،تصحيح وفهرسة / أبو عبد الله السعيد المندوة ، (بيروت ،مؤسسة الكتب الثقافية _٢٠٠٥) .

- الذهبي _شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار التركماني (ت٧٤٨هـ).

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط/١ ،تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا (بيروت ،دار الكتب العلمية _٢٠٠٥).

٩-دول الإسلام ،ط/١ ،(بيروت ،دار الكتب العلمية_ ٢٠٠٢)

١٠- العبر في خبر من غبر،ط/١،(بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٧)

- ابن سباهي زاده _ محمد بن علي البروسي (ت٩٩٧هـ)

١١- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، ط/١ ،تحقيق/ المهدي عبد الرواضية (بيروت ،دار الغرب الإسلامي _٢٠٠٦)
- السيوطي _ جلال الدين عبد الرحمن أبو الفضل (ت ٩١١ هـ)
١٢- تاريخ الخلفاء ، ط/١ ،ضبط وتحقيق /رضوان جامع رضوان،(القاهرة ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع _٢٠٠٤) .
١٣- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،ط/١ ، تحقيق /د.علي محمد عمر،(القاهرة ،مكتبة الخابجي _٢٠٠٧) .
- الشرباصي _ احمد
١٤- المعجم الاقتصادي الإسلامي ،(دار الجبل _١٩٨١) .
- الشهرستاني _ أبو بكر محمد عبد الكريم بن أبي بكر احمد (ت ٥٤٨ هـ)
١٥- الملل والنحل ، ط/٢ ، قدم واشرف على الكتاب / صدقي جميل العطار ، (بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _٢٠٠٢) .
- الصالح _ صبحي
١٦- النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها)، ط/ ١، (قم _ منشورات الرضي _ ١٩٦٥)
- العاني _ تقي
١٧- دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب ،(بغداد _١٩٨٨)
- ابن عساكر _ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ)
١٨- تاريخ مدينة دمشق ، ط/١ ،دراسة وتحقيق / محب الدين العمروي ،(بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٨)
- ابن العماد الحنبلي _ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ)
١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،(بيروت ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع _١٩٩٤)
- الفيروزابادي _مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت٨١٧هـ)
٢٠- القاموس المحيط ،(بيروت ،دار الجبل _ بلات)
- القلقشندي _ أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)

٢١- صبح الاعشا في صناعة الانشا ،(القاهرة ،المطبعة الأميرية _١٩٢٠)
- ابن كثير _ أبي الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)
٢٢- البداية والنهاية ، ط/٣ ،تحقيق/ الشيخ محمد البقاعي ،(بيروت ،دار الفكر _١٩٩٨)
- الماوردي _ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ)
٢٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط/٣ ،ضبطه وصححه/ احمد عبد السلام (بيروت ،دار الكتب العلمية _٢٠٠٦)
- المسعودي _ أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)
٢٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط/١ ،عني بتصحيحه وتنقيحه /شارل بلا ، (المطبعة الكاثوليكية _١٤٢٢هـ)
- المقريزي _تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ)
٢٥- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ط/٣ ،(القاهرة ،مطبعة دار الكتب والوثائق العلمية _٢٠٠٢)
- ابن منظور_أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)
٢٦- لسان العرب ، ط/١ (بيروت ،دار صادر _١٩٩٠)
- ابن واصل _ جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت ٩٦٧ هـ)
٢٧- التاريخ ألصالحي سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك وغيرهم ،ط/١ ،تحقيق / عمر عبد السلام تدمري،(بيروت ، المكتبة العصرية _٢٠١٠)
- الواقدي _محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي (ت٢٠٧هـ)
٢٨- فتوح الشام ،تحقيق/ هاني الحاج ،(مصر ،المكتبة التوفيقية _ بلات)
- ياقوت الحموي _ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)
٢٩- معجم البلدان ،(بيروت ،دار صادر _ بلات)